جـامعة الأزهـر
كلية القرآن الكريم
لقراءات وعلومها بطنطا

أُسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم
وأسراره الدِّلالية

إعداد

إسلام عبد العاطي عليان محمد الحسيني
مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم للقراءات
وعلومها جامعة الأزهر

١٤٤٣هـ = ٢٠٢٢م

أُسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم وأسراره الدِّلالية

إسلام عبد العاطي عليان محمد الحسيني
قسم علوم القرآن ، كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها ، جامعة الأزهر، طنطا، مصر.
الايميل الجامعي:eslam.elyan20@azhar.edu.eg

فهذا بحثٌ موجزٌ في أسلوب قرآني يُضفي دلالة على سياق آيات القرآن الكريم، وهو من الأساليب القرآنية والفنون البلاغية التي اعتنى بها علماء التفسير وعلوم القرآن باعتبارها صورة من صور إعجاز القرآن الكريم.

دفعني إلى الكتابة فيه أنني لم أجد مَن أفرده بالبحث؛ فجمعت شتاته من كتب أهل العلم، وتلمّست مواضعه في كتاب اللهﷻ، ونسجت قواعده على المنوال الذي نسج عليه العلماء غيره مِن أساليب القرآن الكريم؛ وكانت غايتي في ذلك: التأصيل لأسلوب من أساليب كتاب اللهﷻ والكشف عن أسراره الدّلالية في القرآن الكريم، وهو أسلوب لم يَنل حظّاً من الإفراد والتصنيف.

وقد سلكت لتحقيق هذه الغاية: المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بتتبع المواضع محلّ الدراسة، مع ما يلزمُ ذَلك من حصْرٍ ووصْفٍ وتصنيفٍ ونَقْدٍ وتحليلٍ وتعليلٍ. وقد أصّلت الدّراسة لهذا الأسلوب: فأرّخت له، ووضعت له حدّاً، وضوابط، وفرّقت بينه وبين المعاني المجازية ذات الصلة به، وبيّنت طُرقه، وكشفت عن موضوعاته في الذّكر الحكيم.

ومن أهم نتائج الدّراسة: أنّ أسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم يَردُ؛ لينفّر السامع من صفةٍ أو خُلقٍ مذموم، ما كان لصاحبه أن يتخلّق به. أو: ليستبعد على الكافرين مزاعمهم الباطلة في حقّ اللهﷻ ردّاً لها؛ تنزيهاً للهﷻ عمّا لا يليق بذاته المقدّسة. وقد يرد على لسان الأنبياء والصّالحين على سبيل أنّه استبعادٌ من حيث العادة التي أجراها اللهﷻ، وهو غير الاستبعاد المفضي إلى التكذيب والإنكار.

الكلمات المفتاحية: أُسلوب- الاستبعاد- في- القرآن- وأسراره.

Exclusion method in the Holy Quran and its semantic secrets

Islam Abdul Ati Alian Muhammad Al-Husseini
Department of Qur'an Sciences, College of the Holy Qur'an for Readings and their Sciences, Al-Azhar University, Tanta, Egypt.
University email: eslam.elyan20@azhar.edu.eg

Abstract:This is a brief research in a Qur'anic style that gives an indication of the context of the verses of the Holy Qur'an, and it is one of the Qur'anic styles and rhetorical arts that scholars of interpretation and Qur'anic sciences have taken care of as a form of the miracles of the Holy Qur'an.

It prompted me to write in it that I did not find anyone who singled out the search; so I gathered it is from the books, its places in the Book of God, and its rules woven according to the pattern on which the scholars wove other methods of the Noble Qur'an. My goal in that was rooting for a new method from the Book of GodY and revealing its semantic secrets in the Noble Qur'an.

To this end, I have taken the descriptive and analytical approach that follows the places under study, with the necessary inventory, description, classification, criticism, analysis and explanation. The study based on this method: it chronicled it, set limits and controls for it, differentiated between it and the figurative meanings related to it, showed its methods, and revealed its themes in the wise remembrance.

Among the most important results of the study: that the method of exclusion in the Holy Qur'an states; to alienate the listener from an attribute or a reprehensible character, which the owner of it would not have the right to possess. To exclude the unbelievers from their false claims against God. To disgrace God from that which is not befitting of His Holy Essence. It mentioned by the prophets, righteous as an exclusion of the custom made by God, and it is other than exclusion that leads to denial and denial.

Keywords: style - exclusion - in - the Qur'an - and its secrets.

المقدّمة:

الحمد لله الذي نوّر بكتابه القلوب، وأنزله ﷻ في أوجز لفظٍ وأعجز أسلوب؛ فأعْيت بلاغته البلغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، وأبكمت فصاحته الخطباء. والصلاة والسلام على أفصح من نطق بلسان قومه، سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد...

فإنّه لمّا كان من مباحث علوم القرآن الكريم التي اعتنى بها العلماء: معرفة أساليب القرآن الكريم وفُنونه البليغة، والتي عدّها الإمام الزركشي(ت:٧٩٤هـ) المقصود الأعظم من تأليف كتابه «البرهان في علوم القرآن»، ووصفها بأنّها بيت القصيدة، وغرّة الكتيبة، وواسطة القلادة، ودرّة التّاج. ثمّ نعى على طلّاب العلم قلّة البحث فيه والعناية به؛ فقال: «واعلَمْ أَنَّ هذَا عِلْمٌ شَرِيفُ المَحَلِّ، عظِيمُ المكَانِ، قلِيلُ الطُّلَّابِ، ضعِيفُ الأَصحَابِ، ليستْ لهُ عشِيرةٌ تَحْمِيهِ، ولا ذَوُو بَصِيرَةٍ تَسْتَقْصِيهِ... وهو المُطَّلِعُ على أَسْرَارِ القُرآنِ العَظِيمِ، الكافِلُ بإبراز إِعجازِ النَّظمِ المُبِينِ»[1].

ومن هنا رحتُ أتأمّل أسلوب القرآن الكريم؛ حتى هداني الله ﷻ إلى أسلوبٍ لم أجد مَن أفرده بالتصنيف، فجعلته مِن جملة أساليب الذّكر الحكيم، وجمعت شتاته من كتب أهل العلم، وتلمّست مواضعه في كتاب الله ﷻ، ونسجت قواعده على المنوال الذي نسج عليه العلماء غيره مِن أساليب القرآن الكريم؛ وكانت غايتي في ذلك: التأصيل لأسلوب من أساليب كتاب الله ﷻ لم يُفرد بالتصنيف، والكشف عن أسراره الدّلالية في القرآن الكريم؛ فكان هذا البحث الموسوم بـ: «**أُسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم وأسراره الدِّلالية**».

([1]) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (٢/ ٣٨٢).

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع لعدة أسباب، من أهمها: المكانة العلمية في الكشف عن أسلوبٍ مِن أساليب القرآن الكريم وأثره الدّلالي في تفسير آيات الذّكر الحكيم. وعدم وجود مؤلَّف مستقل بالمكتبة الإسلامية يؤصّل لأسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم، ويكشف عن أسراره الدِّلالية.

وتنطلق دراستنا من الإجابة على عدة أسئلة رئيسة: أولها: هل استعمل القرآن الكريم أسلوب الاستبعاد؟ وهل لهذا الأسلوب في القرآن الكريم أدوات وأركان؟ وما صوره؟ وما أثر ذلك على فهم معاني القرآن الكريم؟

أمّا عن الدراسات السابقة: فلم أقف -في حدود بحثي واطلاعي- على بحثٍ أو رسالةٍ أو كتاب تحت عنوان: «**أسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم وأسراره الدِّلاليةً**»، ولم أجد ما يماثل هذا الموضوع. إلّا أنّني وقفت على بحثين بينهما علاقة بموضوع بحثي:

البحث الأوّل: عبارة عن دراسة لُغوية اعتنت بأداة واحدة من الأدوات التي تستعمل في معنى الاستبعاد، وهو بحثٌ للدكتور: حسين خضير عبّاس، عنوانه: «**ثمّ العاطفة وإفادتها الاستبعاد في الدّلالة القرآنية**»، أراد فيه إبراز المعنى الدّلالي لـ: (ثمّ) العاطفة، والتأكيد على أنّها تفيد الاستبعاد، وأنّ ما بعدها مستبعد لما قبلها، كما وقف طويلاً مع الخلاف الواقع بين الزمخشري(ت:٥٣٨هـ) وأبي حيّان(ت:٧٤٥هـ) في إفادة (ثمّ) لمعنى الاستبعاد. واستشهد بعددٍ من الشواهد والأدلّة المتضافرة التي تؤكّد صحة مذهب صاحب الكشّاف ووهن اعتراض صاحب البحر المحيط[1].

([1]) ينظر: ثمّ العاطفة وإفادتها الاستبعاد في الدّلالة القرآنية، د. حسين خضير عبّاس، (ص:٢٥) وما بعدها. بحث منشور بمجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، الناشر: كلية الإمارات للعلوم التربوية، العدد: (٢١)، مارس ٢٠١٨م،

والبحث الثاني: بعنوان: «**أثر العلاقات الزمانية بين الأحداث في إظهار دلالة الاستبعاد في القرآن الكريم**»، لـ: أ.م. د. تراث حاكم مالك الزيادي، ومعه: م.م. محمد كريم جبار. تكلّم البحث عن علاقات زمانية ثلاث: المصاحبة، والتعقيب، والتراخي. وما ينتج عن هذه العلاقات من دلالات كالاقتران في المصاحبة، والسرعة والاتصال في التعقيب، والبعد الزماني والمعنوي في التراخي. ثم ذكر أنّ دلالة الاستبعاد كانت احدى أبرز الدلالات الفرعية للعلاقات الثلاث. ثم شرع يقسم دلالة الاستبعاد بحسب البعد الزماني باستعمال دالة التراخي (ثمّ)؛ فعرض لأثر علاقة المصاحبة والتعقيب والتراخي في إظهار دلالة الاستبعاد[1].

وهذه الدراسات -مع قيمتها وقدرها- إلّا أنها لم تتفق مع هذه الدِّراسة في المادّة والشريحة، كما أنّها مختلفة عنها في المنهج وفي تحقيق الهدف الذي تتغياه. فضلاً على أنّ هذه الدراسات اكْتَفَتْ بدراسة أداة واحدة من أدوات الاستبعاد في القرآن الكريم، وعرضت لنماذج محدودة لها، ولم تلتفت إلى أنّ (الاستبعاد) أسلوب من أساليب القرآن الكريم البليغة التي تعددت أدواته وتنوعت صوره ودلالاته، كما سيتبين لنا في هذا البحث بمشيئة الله ﷻ.

ونحن بهذا لا نقلل من عمل أصحاب تلك الدّراسات؛ ففيها جهدٌ واضحٌ وبحوثٌ مفيدة. كما أنّ ذلك لا يقدح في فضلها، خاصّة أنَّني لا

الصفحات من: (٢٥): (٣٨).

(١) ينظر: أثر العلاقات الزمانية بين الأحداث في إظهار دلالة الاستبعاد في القرآن الكريم، أ.م. د. تراث حاكم مالك الزيادي، ومعه: م.م. محمد كريم جبار، (ص:٣٢٣) وما بعدها. بحث منشور بمجلة العميد جامعة القادسية كلية الآداب قسم اللغة العربية، العدد الخامس ربيع الثاني ١٤٣٤هـ/ آذار ٢٠١٣م. الصفحات من (٣٢٣): (٣٥٩).

أنكر إفادتي منها. إلّا أنّ لكلٍّ وجهَة هو مولّيها. فهي في دراسة دلالة (ثمّ) على الاستبعاد ومراتب ذلك، ودراستنا في إبراز أسلوب الاستبعاد بكل أبعاده في القرآن الكريم. والحمد لله ربّ العالمين.

وقد اقتضت طبيعة البحث اتّباع منهج مناسب: تتوافق أُسسه وخصائصه مع طبيعة الموضوع؛ لذلك لجأ الباحث إلى آليتي الوصف والتحليل: فالوصف: يبرزُ في الجانب النظري عند جمع المعلومات، والتحليل: يتجلّى في الجانب التطبيقي؛ فجاءت السمة المنهجية الغالبة هي: (المنهج الوصفي التحليلي)[1] الذي يقوم بتتبع المواضع محلّ الدراسة، مع ما يلزمُ ذَلك من حصْرٍ ووصْفٍ وتصنيفٍ ونَقْدٍ وتحليل وتعليل. كلّ ذلك مع مراعاة الخطوات العملية، والإجراءات التطبيقيةً المتبعةً في كتابة البحوث العلمية.

([1]) المنهج الوصفي: وصفت الشّيء إذا ذكرته بمعان فيه. راجع: مقاييس اللغة، مادة: (و ص ف)، (٦/ ١١٥). ويُعنَى به هنا: منهج يُتَوصّل به إلى وصف الظّاهرة وصفًا علميًّا دقيقًا يتناول جميع عناصرها الصّوتية والصّرفية والنّحوية والدّلالية أو يكتفي بوصف عنصر منها. راجع: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، لرمضان عبد التواب، (ص:١٨١). المنهج التّحليلي: حللت الشّيء أبحته وأوسعته لأمر فيه؛ فهي تدلّ على فتح الشّيء راجع: مقاييس اللغة، مادة: (ح لّ)، (٢/ ٢٠). والمنهج التّحليلي لا يقف عند مجرد الوصف، وجمع المعلومات، بل يتعدّى ذلك إلى الدّراسة والنّظر والاستنباط والتّعليل وبيان العلاقات بأسلوب علميٍّ واضح للوصول إلى الحقائق والنّتائج. راجع: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، لرمضان عبد التواب، (ص:١٨٨).

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

اشتملت المقدّمة على: أهداف الموضوع، وأسباب اختياره، وأهميته، وفروضه، والدراسات السابقة عليه، ومنهجه، وخطته.

وجاء في التمهيد:

أوّلاً: حديث العلماء عن الاستبعاد.

ثانيًا: مفهوم الاستبعاد.

ثالثًا: أركان الاستبعاد.

رابعًا: الفرق بين الاستبعاد والدِّلالات المجازية التي قد تُصاحبه.

خامسًا: الفرق بين الاستبعاد والتراخي الرتبي.

سادسًا: الفرق بين الاستبعاد والبُعد.

المبحث الأوّل: طُرق أسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم:

المطلب الأوّل: تحقّق الاستبعاد بطريق السياق.

المطلب الثاني: تحقق الاستبعاد بحرف من حروف المعاني.

المطلب الثالث: تحقق الاستبعاد بطريق الاستفهام.

المطلب الرابع: تحقق الاستبعاد باسم الفعل: (هيهات).

المطلب الخامس: تحقق الاستبعاد بقراءة من القراءات المتواترة.

المبحث الثاني: مواضع الاستبعاد في القرآن الكريم وأسراره الدِّلالية:

المطلب الأوّل: استبعاد أفعال وصفات وقعت من كفّار بني إسرائيل:

المطلب الثاني: الاستبعاد الوارد لتنزيه الخالق

المطلب الثالث: استبعاد أفعال وصفات في حقّ المنافقين والكافرين:

المطلب الرابع: استبعادٌ من حيث العادة التي أجراها الله:

المطلب الخامس: استبعاد أفعال وصفات في حقّ المؤمنين:
المطلب السادس: استبعاد الكافرين لأمرٍ مِن الأمور الغيبية:
المطلب السابع: استبعاد نشأ عن استكبارٍ وغمطٍ للحق:
الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.
الفهارس: وتتضمن: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

التمهيد:

في هذا التمهيد عرضٌ موجزٌ لحديث العلماء عن: «الاستبعاد»، وبيانٌ لمفهومه في اللغة والاصطلاح، وتقعيدٌ لأركانه، وتوضيحٌ للفرق بينه وبين الدِّلالات المجازية التي قد تُصاحبه، وتفريقٌ بينه وبين «التراخي الرتبي»، وبينه وبين «البُعد».

أوّلاً: حديث العلماء عن الاستبعاد.

لم تخل كُتب القدماء والمحدثين من إشارات قيّمة عن أسلوب «الاستبعاد»، سواءً في كلام العرب أو في القرآن الكريم، إلّا أنّه لم يصلنا مؤلفٌ في أسلوب «الاستبعاد» ولم يفرد أحدٌ له بابًا، جلّ ما في الأمر أننا قد وجدنا نتفًا متناثرة في كتب التفسير وعلوم القرآن وشرح دواوين الشعر[1] تشير إلى أنّ بعض حروف المعاني وأسماء الأفعال تفيد «الاستبعاد» كـ: (ثمّ) و (هيهات)، أو تَعْقِد يدها على معنى «الاستبعاد» في بيتٍ من الشعر أو آية من كتاب اللهﷻ من خلال التأمل في سياق الكلام.

بيد أنّ الإشارات الأولى لأسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم ترجع إلى يحيى بن سلام(ت:٢٠٠هـ)؛ حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون:٣٦]: «تباعد البعث في أنفس القوم، أي: لا يبعثون. يقوله بعضهم لبعض»[2]. كما أشار إلى أسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم جماعة من المفسرين، منهم: الفرّاء(ت:٢٠٧هـ)[3]، والطبري(ت:٣١٠هـ)[1]،

---

(1) ينظر: أمالي المرزوقي، (ص: ١٢). وينظر: شرح ديوان الحماسة، (ص: ١٢٧٤)، (ص: ١٢٧٥).

(2) تفسير يحيى بن سلام، (١/ ٤٠٠).

(3) ينظر: معاني القرآن، للفراء، (٢/ ٢٣٥).

والزجّاج(ت:٣١١هـ)[٢].

وأحسبُ أنّ أوّل من سمّاه «الاستبعاد» هو الماتريدي(ت:٣٣٣هـ) في تفسيره: «تأويلات أهل السُّنّة»، كما يظهر لنا عند تأويله لقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل:١]؛ حيث قال: «سُبحَان الله: حرف يذكر على أثر شيء مستبعد... وهو ما ذكره على أثر وصف أو قول لا يليق بالله من الولد، والشريك، ونحوه»[٣]. وأظهر منه ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ﴾ [النازعات:١١]؛ حيث صرّح فيه بأسلوب «الاستبعاد» ؛ فقال: «قالوا ذلك كله: إنكارًا للبعث واستهزاءً به أنهم يبعثون ويجزون بأعمالهم، وهذا كأنهم قالوا ذلك على التعجب، والاستبعاد عن كون ذلك»[٤].

وتكلم عنه جمع من المفسرين وأشاروا إليه بهذا الاسم، منهم النّحاس(ت:٣٣٨هـ)[٥]، ومكّي ابن أبي طالب(ت:٤٣٧هـ)[٦]، والماوردي(ت:٤٥٠هـ)[٧]، والقشيري(ت:٤٦٥هـ)[١]،

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، (١٩/ ٣٠)، (٢٣/ ٦٠٣).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٤/ ٣٦٩)، (٥/ ٢٢٠).

(٣) تفسير الماتريدي، (٦/ ٤٧٢).

(٤) تفسير الماتريدي، (٧/ ٥٧). وقد صرّح بأسلوب الاستبعاد في مواضع متفرقة من تفسيره. ينظر: (٧/ ٤٦٧)، (٩/ ٤٩٨)، (١٠/ ١٩٤).

(٥) يُنظر: إعراب القرآن، للنحاس (٢/ ٢٧٤). وينظر: القطع والائتناف، للنحاس، (ص: ٥٧).

(٦) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، (٦/ ٤٢٩٢)، (٦/ ٤٢٩٧)، (١٠/ ٦٧٨٩).

(٧) ينظر: تفسير الماوردي، (٥/ ٣٣).

والواحدي(ت:٤٦٨هـ)[٢]، والسمعاني(ت:٤٨٩هـ)[٣]، والبغوي(ت:٥١٠هـ)[٤]، والزمخشري(٥٣٨هـ)[٥]، وابن عطية(ت:٥٤٢هـ)[٦].

لكنّ الزمخشري(٥٣٨هـ) يُعدُّ أوّل من أكثر من تتبع مواضع الاستبعاد في القرآن الكريم، كما أنّه يُعدُّ أوّل من تكلّم عنه بشيء من التفصيل، وذلك في تفسيره: (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)[٧].

ومن ثَمّ تبعه جمعٌ من المفسرين فلفّوا لفّه، أو قاسوا على كلامه، أو اعترضوا على بعض المواضع التي ساقها، ومن هؤلاء: الرازي(ت:٦٠٦هـ)، والقرطبي(٦٧١هـ)، والبيضاوي(ت:٦٨٥هـ)، والنسفي(ت:٧١٠هـ)، وابن جُزيّ الكلبيّ(ت:٧٤١هـ)، والطيبي(٧٤٣هـ)، وأبو حيّان(ت:٧٤٥هـ)، وغيرهم[٨].

وتتابع العلماء في الحديث عن الاستبعاد، إلّا أنّه لم يقم أحدٌ بإفراده ببحثٍ باعتباره أسلوبًا من أساليب القرآن الكريم، وعليه فلم يبيّنوا صوره، ولم يحدّدوا معناه، ولم يُقعدّوا له، ولم يتتبعوا مواضعه في

---

(١) ينظر: تفسير القشيري (٢/ ٥٧٦)، (٣/ ٢١٩)، (٣/ ٣٦٤).

(٢) ينظر: التفسير البسيط، (٣/ ١١١)، (٥/ ٢٣٩).

(٣) ينظر: تفسير السمعاني، (٥/ ١٥)، (٥/ ٧١)، (٦/ ٢١٤).

(٤) ينظر: تفسير البغوي، (٣/ ٤٦٥).

(٥) ينظر: تفسير الزمخشري، (١/ ٣٠٧).

(٦) ينظر: تفسير ابن عطية، (١/ ٤٦٨).

(٧) استقرأت تفسير الكشاف؛ وأحصيت للزمخشري فيه ما يربوا عن ستين موضعًا تكلم فيها عن الاستبعاد.

(٨) سيظهر ذلك عند عرضنا للجانب التطبيقي من هذا البحث إن شاء الله ﷻ.

كتاب الله ﷻ؛ فرأيت أن أحاول فعل ذلك، والله ﷻ أسأل التوفيق، وعلى الله ﷻ قصد السبيل.

ثانياً: مفهوم «الاستبعاد».

الاستبعاد في اللغة:

المتأمّل في معاجم اللغة يجد أنّ مادة (بعد) لها أصلان، الأوّل: ضدّ القُرْب، يُقال: بَعُدَ يَبْعُدُ بُعْداً فهو بَعِيدٌ. والثاني: مُقَابِلُ «قَبْلَ». و «البعد»: الهَلَاكُ. ويُستعمل «البعد» في المحسوس وفي المعقول، وحقيقته: للأزمنة والأمكنة، ويُستعمل استعمالاً مجازيًا للمعاني المعقولة[1]. و «الاستبعادُ» مَصدر «استبعدَ» أَيْ: (تَبَاعَدَ). و «استبعَدْت الشَّيْء»: رَأَيْته بَعيداً، أو: نسبته إلى البُعد الحقيقي أو المجازي. وَ (اسْتَبْعَدَهُ) عَدَّهُ بَعِيدًا[2].

فمن خلال الدّلالة المعجمية والصرفية يظهر لنا أنّ معنى «الاستبعاد»: «عدُّ الشيء بعيداً أو: نسبة الشيء إلى البُعد المحسوس أو المعقول». ودراستنا هذه تتناول من الأحداث ما اتّصف بالبعد في أمرٍ معقول، أي: البُعد المجازي أو: المعنوي.

الاستبعاد في الاصطلاح:

من رحِم المعنى اللغوي للاستبعاد، ونظرة العلماء إليه؛ يمكننا أن نصطلح على تعريفين لأسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم، يتبين لنا مِن خلالهما ماذا نقصد من أسلوب: «الاستبعاد» هنا في هذا البحث:

---

(1) ينظر: العين، للخليل، مادة (ب ع د)، (٢/ ٥٢). وينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (ب ع د)، (١/ ٢٦٨). وينظر: المفردات، للراغب، مادة (ب ع د)، (ص: ١٣٣).

(2) ينظر: المخصص، لابن سيدة، (٣/ ٣١٣). وينظر: مختار الصحاح، للرازي، (ص: ٣٧). مادة (ب ع د).

التعريف الأوّل: «عَدُّ الشيء بعيد الوقوع»[١]. وهذا اللون من ألوان «الاستبعاد» مثّل له العلماء بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج:٦-٧]، والمعنى: إن هؤلاء المشركين يرون العذاب أو يوم القيامة بعيد الوقوع، أي: إنّهم يرونه غير واقع؛ لأنهم يستبعدونه على جهة الإحالة. فأشار السياق هنا إلى أسلوب الاستبعاد بقرينة ارتيابهم في وقوعه، والتقدير: (إنّهم لا يرونه كائنًا، ونراه نحن كائنًا)[٢].

التعريف الثاني: «نسبة أمرٍ ما إلى البُعد المعنويّ؛ لأنّه جاء نقيض مُوجِب أمْرٍ أخر»[٣].

فقولنا: «أمرٍ»: جنسٌ في التعريف.

وقولنا: «إلى البُعد المعنويّ»: قيدٌ في التعريف؛ خرج به البعد الحسّيّ، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ:١٩]؛

---

(١) ينظر: الإيضاح، للقزويني (٣/ ٧٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (٢٣/ ٦٠٣). وينظر: معاني القرآن، للزجاج، (٥/ ٢٢٠). وينظر: تفسير الماتريدي، (٧/ ٦٠). وينظر: لطائف الإشارات، للقشيري (٣/ ٦٢٩). وينظر: تفسير البغوي، (٥/ ١٥٢). وينظر: تفسير ابن عطية، (٥/ ٣٦٦).

(٣) توصّلت إلى هذا التعريف من خلال استقراء تامّ لمواضع الاستبعاد في القرآن الكريم. وقد عُرِّف الاستبعاد بعدّة تعريفات أخرى، منها: «إشارة السياق إلى بُعدٍ معنويّ لحدثٍ ما، وكان لذلك البُعد مرجعية تتمثل في حدثٍ آخر تربطه بالحدث الذي عُدَّ بعيداً عَلاقة زمانية حقيقية أو مجازية». ينظر: أثر العلاقات الزمانية بين الأحداث في إظهار دلالة الاستبعاد في القرآن الكريم، أ.م. د. تراث حاكم مالك الزيادي، ومعه: م.م. محمد كريم جبار، (ص:٣٢٧). ومنها: «إشارة السياق إلى أنّ الحدث الثاني يُعدّ بعيداً مع وجود حدثٍ غيره». ينظر: ثمّ العاطفة وإفادتها الاستبعاد في الدّلالة القرآنية، د. حسين خضير عبّاس، (ص:٢٧).

فهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوّها، بمعنى أنّهم بطروا وجهلوا قدر النعمة عليهم، فسألوا الله ﷻ أن يجعل بينهم وبين الشام مسافات وصحراء؛ ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا لها بالزّاد[1].

وقولنا: «لأنّه جاء نقيض مُوجِب أمْرٍ آخَر»: قيدٌ ثانٍ؛ يبيّن أنّ الاستبعاد الذي اتّصف به الأمر أو الحدث الثاني نتج عن تداخله مع أمرٍ أو حدثٍ آخَر تربطه بالأمر أو الحدث الذي عُدّ بعيداً علاقة كانت تُوجب عكس ما تقدّم.

ففي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة:٢٢]: استبعادٌ للإعراض عن آيات الله ﷻ بعد التّذكير بها؛ فيظهر بذلك أنّ الحدث الثاني (الإعراض عن آيات الله ﷻ) يُعدّ بعيداً؛ مع وجود حدثٍ غيره (التّذكير بآيات الله ﷻ). وكان التذكير يُوجب انتفاء الإعراض، أي: يوجب الإقبال على الآيات بالإيمان، إلّا أنّ الإعراض جاء نقيض مُوجِب التّذكير.

وقد عقَد الزمخشري(ت:٥٣٨هـ) يده على دلالة الاستبعاد هنا، فقرر بأنّ ﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة:٢٢]للاستبعاد، وأنّ المعنى: أنّ الإعراض عن مثل آيات الله ﷻ في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالجنّة بعد التذكير بها؛ مستبعد في الشرع والعقل. ومثّل لذلك بقول أحدهم لصاحبه: (وجدتَ مثل تلك الفرصة ثُمَّ لم تنتهزها)؛ استبعاداً لتركه الانتهاز. يعني: يبعد من العاقل ارتكاب هذا المحذور بعد حصول ما ينافيه، ويقلعه من الآيات البينات المذكورة فيما سبق[2].

ثالثاً: أركان الاستبعاد.

لا شك أنّ للسياق دوراً مهماً في تحديد دلالة الاستبعاد، وربما كان السياق وحده كافياً لذلك، وهذا نجده واضحاً في اللون الأوّل أو

([1]) ينظر: تفسير الطبري، (٢٠/ ٣٨٩). وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي، (٩/ ٥٩١٧).

([2]) ينظر: تفسير الزمخشري، (٣/ ٥١٥). وينظر: حاشية الطيبي على الكشاف، (٢/ ٥٤١).

الصّورة الأولى من صور «الاستبعاد»، والتي يُعبِّر عنها التعريف الأوّل للاستبعاد الذي قلنا إنّه: «عَدُّ الشيء بعيد الوقوع».

أمّا الصّورة الثانية من صور «الاستبعاد» والتي سبق تعريفنا لها بأنّها: «نسبة أمرٍ ما إلى البُعد المعنويّ؛ لأنّه جاء نقيض مُوجِب أمْرٍ أخر»، فإننا يمكن أن نحدّد لها أركانًا واضحة المعالم، كما يلي:

الركن الأوّل: الأداة.

والتي قد تكون أداة من أدوات الاستفهام كـ: (كيف) في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران:١٠١]، أو حرف من حروف المعاني كـ: (ثُمَّ) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة:٢٢]، أو لفظ، مثل: (هيهات)، أو غير ذلك[1].

الركن الثاني: المُستَبْعد (الحدث الثاني).

وهو الحدث الذي يقع عليه الاستبعاد، كالكفر في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران:١٠١]؛ لأنّ الاستبعاد وقع على كفرهم.

الركن الثالث: الدّاعي إلى الاستبعاد (الحدث الأوّل).

وهو محطّ الاستبعاد كما سمّاه الزمخشري، أو السبب المُوجب للاستبعاد، وهو العلاقة الرابطة بين الحدثين، كاستبعاد كفرهم مع علمهم بأنّ آيات الله ﷻ تتلى عليهم وفيهم رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران:١٠١]. وكاستبعاد إعراضهم عن آيات الله ﷻ بعد التّذكير بها في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة:٢٢]. والله أعلم.

---

(1) سيأتي بيان ذلك في المبحث الثاني إن شاء الله ﷻ.

رابعاً: الفرق بين الاستبعاد والدِّلالات المجازية التي قد تُصاحبه.

مرّ تعريف الاستبعاد في اللغة والاصطلاح، وبيان أنّ الاستبعاد هو: عدّ الشيء بعيداً، ولا يمكن القول بأنّ الاستبعاد هو عين الإنكار أو التعجّب أو التّهكّم أو التوبيخ؛ لأنّ الاستبعاد معنى مجازي كالإنكار وكالتعجّب وكالتّهكّم وكالتّوبيخ، ولا يصح الاستعمال في معنيين مجازيين، أي لا يجوز القول بأنّهما قُصِدا معاً. غير أنّنا يمكن أن نجد علاقة بينهما؛ فنقول: يمكن أن يُقال: إنّ هناك إنكارٌ أو تعجّب أو تهكّم أو توبيخ مبنيّ على الاستبعاد[1]، بمعنى: أنّ الاستبعاد يُفضي إلى دلالة فرعية أخرى كالإنكار أو التعجب أو التهكم أو التوبيخ أو غير ذلك بحسب دلالة السياق[2].

خامساً: الفرق بين الاستبعاد والتراخي الرتبي.

الأصل في حرف المعاني (ثُمّ) أنّه موضوعٌ للتراخي في الزمان، وعندما يدلّنا السياق على الحال ولا يدلّنا على بعد زمان؛ تُحمل (ثُمَّ) على الاستبعاد مجازاً لا على التّراخي الرتبي.

والفرق بينهما: أنّ التّراخي الرتبي يدلّ على التباعد في الرتبة، بمعنى: أنّ مدخول (ثُمّ) أعلى، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت:١١]. بينما يدلّ الاستبعاد على أنّ مدخول (ثُمَّ) بعيدٌ عن الوقوع[3].

---

(1) ينظر: حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي، (٢/ ٢٣٩).

(2) ينظر: أثر العلاقات الزمانية بين الأحداث في إظهار دلالة الاستبعاد في القرآن الكريم، أ.م. د. تراث حاكم مالك الزيادي، ومعه: م.م. محمد كريم جبار، (ص:٣٣٣) وما بعدها.

(3) ينظر: حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي، (٢/ ١٨٥).

والاستبعاد أعمّ من التراخي الرتبي؛ لأنّه يدلّ على بُعد أحدهما رتبة في شرف أو ضدّه، سواء كان الأوّل أعلى أو الثاني، بينما يدلّ التّراخي الرتبي على مطلق التباعد بينهما وإن لم يشتركا في شرف أو ضده[1].

سادساً: الفرق بين الاستبعاد والبُعد.

بإمعان النّظر في مدلول الاستبعاد والبعد؛ يظهر لنا أنّهما بمعنى واحد لغة؛ لأنّهما يشيران إلى: عدّ الشيء بعيداً. غير أنّ التحقيق العلمي يُبرز عدداً من الفروق الاصطلاحية بينهما، من ذلك:

(أ) أنّ الاستبعاد: يكون بين أمرين، بينهما منافاة. كقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران:١٠١]، ففي الآية الكريمة استبعادٌ لكفرهم بعد علمهم بأنّ آيات اللهﷻ تتلى عليهم وفيهم رسول اللهﷺ. أي أنّ فيها استبعادٌ للأمر الثاني؛ لأنّه ليس مِن موجِب الأمر الأوّل بل هو نقيض موجبه، بمعنى أنّ الشرع والعقل كان يوجب انتفاء الأمر الثاني (الكفر)؛ لوجود الأمر الأوّل (تنزّل القرآن عليهم ووجود الرسولﷺ بينهم).

في حين أنّ البعد: يكون في أمرٍ واحدٍ، أو: بين أمرين من جنسٍ واحد بينهما تفاوت. **أمّا الأوّل**: فيمكننا أن نمثّل له بحرف النداء (يا)؛ لأنّه موضوعٌ لنداء البعيد مكاناً أو رتبة باعتبار الحقيقة أو المجاز. ويشهد لذلك تأويل الزمخشري(ت:٥٣٨هـ) لقول الداعي في جؤاره: «يا رب»، واللهﷻ أقرب إليه من حبل الوريد. حيث قال: «هو استقصار منه لنفسه، واستبعاد لها من مظانّ الزلفى وما يقرّبه إلى رضوان الله ومنازل المقرّبين، هضماً لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط في جنب اللهﷻ، مع فرط التهالك على استجابة دعوته والإذن لندائه وابتهاله»[2]. **بينما**

---

(1) ينظر: المصدر السابق، (٧/ ١٥٣).

(2) تفسير الزمخشري، (١/ ٨٩). وينظر: تفسير الرازي، (٢/ ٣٢٠). وقد جعل جمعٌ

الثاني: يمكننا أن نمثّل له بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام:٨]، فـ(ثُمّ) هنا للبعد بين أمرين مِن جنسٍ واحدٍ بينهما تفاوت (قضاء الأمر، وعدم الإنظار)؛ وقد جعل الله ﷻ عدم الإنظار أشدّ من قضاء الأمر؛ لأنّ مفاجأة الشدّة أشدّ من نفس الشدّة[1].

(ب) ويمكننا أن نلحظ فرقًا آخر: أنّ السياق يشير إلى أنّ الاستبعاد يقع على أحد المتصاحبين وأنّهما غالبًا يقعان معًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران:١٠١]، وقع الاستبعاد على كفرهم، غير أنّ الحدثين وقعا معًا (كفرهم، ونزول الآيات). بينما يُشير السياق -في البُعد الذي يكون بين أمرين من جنسٍ واحد بينهما تفاوت- إلى أنّ المتصاحبين لم يقعا؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام:٨]، فـ(قضاء الأمر، وعدم الإنظار) لم يقعا. لأنّ الله ﷻ لم يقضي الأمر بإهلاكهم وأمهلهم فلم يُعذّبهم[2]. والله أعلم.

من المفسرين من جُملة هذا البُعد قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢]، حيث ذهبوا إلى أنّ امرأة العزيز قالت: (فَذلِكُنَّ) ولم تقل: (فهذا) وهو حاضر؛ رفعًا لمنزلته في الحسن، واستبعاداً لمحله، وإشارة إلى أنه لغرابته بعيد أن يوجد مثله. ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٤٦٦). وينظر: البحر المحيط في التفسير، (٦/ ٢٧١). وينظر: تفسير الألوسي، (٦/ ٤٢٣).

(1) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٧).

(2) ينظر: تفسير الماتريدي، (٤/ ٢٦). وينظر: تفسير السمرقندي، (١/ ٤٣٥).

المبحث الأوّل: طُرق أسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم:

بإمعان النّظر في آيات القرآن الكريم التي ذكر العلماء أنّ أسلوب الاستبعاد قد تحقّق فيها؛ نستطيع أن نستخلص طُرقًا لهذا الأسلوب القرآني، وهي طرقٌ معهودة يتحقق بها الاستبعاد: فقد يأتي الاستبعاد من طريق السياق، وقد يأتي من مدلول حرفٍ من حروف المعاني، أو أداة من أدوات الاستفهام، أو يدلّنا عليه اسم من أسماء الأفعال، وسوف نعرض لهذه الطرق في المطالب التالية بمشيئة الله ﷻ.

المطلب الأوّل: تحقّق الاستبعاد بطريق السياق.

طريق السياق هو العامل الأوّل في تحديد دلالة الاستبعاد في الآية القرآنية، لذلك اعتمد العلماء عليه في كثيرٍ من المواضع التي ذكروا فيها أنّ أُسلوب الاستبعاد مفهوم من سياق الكلام.

ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧]، يرى الزمخشري(ت:٥٣٨هـ) أنّ سياق الآيات يُشير إلى أنّها وردت على طريقة الاستبعاد، وأنّ الله ﷻ أكّد استبعاد الولادة بقوله تعالى: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧]؛ لأنّ من كان بهذه الصفة من القدرة؛ كانت حاله مباينة لأحوال الأجسام في توالدها؛ فلا يُتصوّر مع تلك الصفات توالد؛ لأنّه ﷻ هو المالك للكلّ، لا يخرج شيء من ملكه وملكوته[1].

المطلب الثاني: تحقق الاستبعاد بحرف من حروف المعاني.

في هذا الطريق يكون الاستبعاد مفهومًا من مدلول حرف مِن حروف المعاني، وربّما كان للسياق هنا أثرٌ في بيان أسلوب الاستبعاد،

---

(1) ينظر: تفسير الزمخشري، (١/ ١٨٢). وينظر: تفسير النسفي، (١/ ١٢٤). وينظر: حاشية الطيبي على الكشاف، (٣/ ٦٣).

إلّا أنّ مفهوم الاستبعاد لا يتحقّق بدون دخول هذا الحرف في التركيب. وسوف نعرض لذلك فيما يلي:

أولاً: الاستبعاد باستعمال: (ثمّ) العاطفة.

(ثمّ) حرف عطف، يشرك في الحكم، ويفيد الترتيب بمهلة[1]. والمتأمّل في المعنى الدِّلالي لـ: (ثمّ) يلحظ أنّها تُفيد معنى الاستبعاد، وأنّ ما بعدها مستبعدٌ لما قبلها، أي أنّ ما بعدها لا يمكن وقوعه بالمرّة بعد تحقق ما قبلها[2].

([1]) الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، (ص: ٤٢٦). (ثمَّ) حرف عطف يَقْتَضِي ثَلَاثَة أُمُور التَّشْرِيك فِي الحكم وَالتَّرْتِيب والمهلة وَفِي كل مِنْهَا خلاف. ينظر: مغني اللبيب، لابن هشام، (ص: ١٥٨).

([2]) هذا المعنى قد تفطّن له الزمخشري(ت:٥٣٨هـ). ينظر: تفسير الزمخشري، (١/ ١٥٥). في حين أنّ أبا حيّان(ت:٧٤٥هـ) قد نفى وقوع مثل هذا، وزعم أنّ الاستبعاد متأتٍ من دلالة السياق لا من الأداة نفسها. ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان، (١/ ٤٢٢). لكنّه محجوج بالأدّلة المتضافرة، منها: أنّ هذا المعنى لا ينافي معنى العطف والتراخي الذي فيها بل يساوقها، ولا يتعارض مع كونها في أصل معناها تأتي للترتيب والتراخي. ومنها: أنّ السياق لا يمكن وحده أن يُثبت معنى الاستبعاد بدون (ثمّ) في الجمل التي وردت فيها (ثم)، فلو استبدلناها بحرف غيرها كالـ: (الفاء) مثلاً؛ فلن يبقى معنى الاستبعاد؛ لذلك حسن موقع (ثمّ) تماشيـاً مع جزالة النظم وسلاسة السبك. ومنها: أنّ أبا حيان(ت:٧٤٥هـ) ذكر الاستبعاد في آياتٍ لا يظهر فيها الاستبعاد إلّا بمدلول: (ثمّ)؛ ففي قوله تعالى: (ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ) [آل عمران:٢٣] قال: (هذا استبعادٌ لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب). البحر المحيط، (٣/ ٨١). ومنها: أنّه قيل: إن سلّمنا بأنّ (ثمّ) لم توضع للاستبعاد؛ لقلنا: إنّ (ثمّ) مستعملٌ

من ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢]، فالآية الكريمة استبعادٌ لأن يشكُّوا فيه ﷻ بعد ما ثبت بالحجج والأدلة الباهرة أنّه ﷻ هو محييهم ومميتهم وباعثهم، وبذلك دلّت (ثُمَّ) على قُبح فعل الكافرين بعد أن تقرر أنّه ﷻ خالقهم وخالق أصولهم ومحييهم إلى آجالهم، ولو وقع العطف في هذا ونحوه بـ: (الواو) لم يلزم الاستبعاد كلزومه بـ: (ثُمَّ) التي دلّت على بُعد ما بين مدلولي المعطوف والمعطوف عليه؛ فأفادت بذلك استبعاد ما فعله الكافرون وكونه ضدّ ما كان يجب عليهم في حقّ الله ﷻ، وأنّهم في أقصى مراتبِ الاستبعاد[1].

فيها الاستبعاد بطريق المجاز بمعونة المقام، وذلك لأنّ كل متباعد مستبعد ومتراخ عن خلافه. ينظر: حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي، (٤/ ١٠). ومنها: أنّه قد وافق الزمخشري ابن عطية، وتبعهما في ذلك جماعة من المفسرين منهم: الرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، وابن جزيّ، والطّيبي، والسمين الحلبيّ، والبقاعي، وأبو السعود، والشهاب الذي حقّق المسألة وذكر الخلاف فيها بين الزمخشري وأبي حيّان ثمُ قال: (فاندفع ما قال أبو حيان: إنّه لم يوضع لذلك بل هو مستفاد من سياق الكلام). حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي، (٤/ ١٠). كما صرّح الألوسي بأنّ استعمال (ثمّ) للدلالة على الاستبعاد كثير. ينظر: تفسير الألوسي، (١٥/ ١٣٦). وستأتي بمشيئة الله ﷻ الآيات القرآنية التي أثبت فيها هؤلاء معنى الاستبعاد في ثمّ في المبحث التالي.

(١) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٤). وينظر: تفسير ابن عطية، (٢/ ٢٦٦). وينظر: تفسير البيضاوي، (٢/ ١٥٣). وينظر: تفسير النسفي، (١/ ٤٩٠). وينظر: تفسير ابن جزي، (١/ ٢٥٣). وينظر: حاشية الطيبي على الكشاف، (٦/ ١٣). وينظر: نظم

ثانياً: الاستبعاد باستعمال: (ما) النافية.

(ما) لفظ مشترك؛ يكون حرفًا واسمًا. و(ما) الحرفية لها ثلاثة أقسام: نافية، ومصدرية، وزائدة[1]. ولم أقف على (ما) أفادت معنى الاستبعاد إلّا بقرينة السياق، ومن ذلك ما ذكره الزمخشري(ت:٥٣٨هـ) عند قول الله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم:٢]، حيث ذهب إلى أنّ (الباء) في قوله تعالى: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ تتعلق بقوله تعالى: ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ منفيا ، كما تتعلق بعاقل مثبتًا في قولنا: «أنت بنعمة الله عاقل»، مستويًا في ذلك الإثبات والنفي؛ كأنهﷻ قال: ما أنت بمجنون منعمًا عليك بذلك، والمعنى: استبعاد ما كان ينسبه إليه كفار مكة عداوة وحسداً، وأنه من إنعام اللهﷻ عليه -بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوّة- بمنزل[2].

وبذلك أفاد التركيب﴿مَآ﴾ و﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ استبعاد نسبة الجنون إلى رسول اللهﷺ؛ لأنّ من تأمّل ذلك أيقن بأنّ الإنعام عليهﷺ بالنبوّة من موجبات حصافة العقل والرأي وليس الجنون؛ لأنّهﷺ جاءهم بحكمة وموعظة يعجز حكماء الجنّ والإنس عن الإتيان بمثلها.

فحصل بذلك تكذيبهم في نسبة الجنون إليهﷺ، ونفي الجنون عنهﷺ بقوله: ما أنت بما أنعم اللهﷻ عليك بمجنون؛ فيكونﷻ قد قرر بهذا الاستبعاد ما هو كالدليل القاطع على صحة عقل وحصافة رأي النبيّﷺ؛ لأن نعمهﷻ كانت ظاهرة في حقه من كمال الفصاحة والعقل

الدرر، للبقاعي، (٧/ ١٠). وينظر: تفسير أبي السعود، (٣/ ١٠٧). وينظر: تفسير الألوسي، (٤/ ٨٤). وينظر: تفسير المنار، (٧/ ٢٤٧). أكثرت من المراجع هنا؛ لبيان موقف العلماء من دلالة (ثمّ) على الاستبعاد.

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، (ص: ٣٢٢).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري، (٤/ ٥٨٥).

والسيرة المرضية والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة، فحصول ذلك وظهوره جار مجرى اليقين في كونهم كاذبين في قولهم: إنه مجنون، وأنّهﷺ في غاية الغاياتِ القاصيةِ ونهاية النهاياتِ النائيةِ من حَصانةِ العقلِ ورَزَانَةِ الرأيِ[١].

ثالثاً: الاستبعاد باستعمال: (إنْ) الشرطية.

إن المَكسُورَة الخَفِيفَة ترد على أَرْبَعَة أوجه: أَحدهَا أَن تكون شَرْطِيَّة، الثَّانِي: أَن تكون نَافِيَة، الثَّالِث: أَن تكون مُخَفّفَة من الثَّقِيلَة، الرَّابِع: أَن تكون زَائِدَة نحوياً[٢].

وقد استعمل النّظم الجليل (إن) الشرطية في الدّلالة على معنى الاستبعاد في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة:٢١٧]، فالآية الكريمة إخبارٌ عن دوام عداوة الكفار للمسلمين، وأنّهم لا ينفكون عن تلك العداوة إلّا إذا ردّوهم عن دينهم، وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة:٢١٧]، استبعادٌ لاستطاعتهم، كقول الرجل لعدوّه: إن ظفرت بي فلا تبق عليَّ. وهو واثق بأنه لا يظفر به[٣]، فالاستبعاد هنا إشارةٌ إلى تصلّبهم في الدين وثباتِ قدمِهم فيه، كأنه قيل: وأنّى لهم ذلك؛ إيذان بأنهم لا يردونهم، وإثباتٌ لعجز الكافرين ويأسهم عن ردّ المؤمنين عن دينهم، وربطٌ على قلوب المؤمنين وأمانٌ لهم عن الرجوع إلى الكفر[٤].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، (٢٣/ ٥٢٨). وينظر: تفسير الرازي، (٣٠/ ٦٠٠)، وتفسير أبي السعود، (٩/ ١١).

(٢) ينظر: مغني اللبيب، لابن هشام، (ص: ٣٣). وما بعدها.

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري، (١/ ٢٥٩). وينظر: تفسير الرازي، (٦/ ٣٩٢). وتفسير البيضاوي، (١/ ١٣٧).

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي، (٢/ ١١٤). وينظر: تفسير الراغب، (١/ ٤٤٧). وتفسير

فظهر بذلك أنّ التعبير بـ: (إن) الشرطية جاء دلالة على استبعاد استطاعتهم؛ لأنّ (إن) الشرطية تستعمل لبيان أنّ الشرط غير واقع؛ فأفادت الجزم بعدم الوقوع إشارة إلى أنّ ذلك لا يكون إلا على سبيل الفرض كما يفرض المحال، وهذا هو معنى الاستبعاد في (إن) الشرطية. أي: لا يكون استطاعة، وبعيد أن تكون استطاعة[1].

رابعاً: الاستبعاد باستعمال: (إنْ) النافية.

من ذلك ما ورد على لسان الكافرين في قول الله ﷻ: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠]، فالمعنى: ما أنتم أيها الرسل إلا بشر مثلنا في الصورة، فلا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوّة دوننا، ولو أرسل الله ﷻ إلى البشر رسلا لجعلهم من جنس الملائكة[2]. فظهر مِن ذلك أنّ قولهم هذا فيه استبعاد بعثة البشر؛ لأنّه استبعادٌ لتفضيل بعض البشر على بعضٍ بالنبوة[3].

رابعاً: الاستبعاد باستعمال: (حتى) الغائية.

(حتى) حرفٌ معناه: انتهاء الغاية، وله عند البصريين ثلاثة أقسام: يكون حرف جر، وحرف عطف، وحرف ابتداء. وزاد الكوفيون قسماً رابعاً، وهو أن يكون حرف نصب، ينصب الفعل المضارع والمشهور أن لها معنيين: أحدهما: الغاية، والثاني: التعليل، وعلامة كونها للغاية أن يحسن في موضعها (إلى أن)، وعلامة كونها للتعليل أن يحسن في

أبي السعود، (١/ ٢١٧).

(١) ينظر: حاشية الطيبي على الكشاف، (٣/ ٣٥٠). وينظر: حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي، (٢/ ٣٠٢). وينظر: تفسير الألوسي، (١/ ٥٠٤). وينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢/ ٣٣١).

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي، (٢/ ٢٣٧). وينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٥٤٣).

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية، (٣/ ٣٢٨). وينظر: تفسير ابن جزي، (١/ ٤٠٩).

موضعها (كي)[١].

وقد استعمل القرآن الكريم (حتى) للدلالة على معنى الاستبعاد، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فالمراد هنا أنّهم لن يدخلوا الجنّة أبداً؛ لأنّه ﷻ علّق دخولهم الجنّة بما هو مستبعد الوقوع؛ حيث قيده بالغاية المستبعد وقوعها، أي: لو كانت لانتفاء دخولهم الجنة غاية؛ لكانت غايته ولوج الجمل في سم الخياط، وهو أمر لا يكون أبداً، والمعنى: لا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها الجنة، كما لا يدخل الجَمل في ثقب الإبرة[٢].

وقد زاد السياق من المبالغة في الاستبعاد حين عبّر بهذا الأسلوب البديع؛ لأنّه كما قيل: (وفي كون الجَملِ ممّا ليس من شأنه الولج في سمِّ الإبرة مبالغةٌ في الاستبعاد)[٣].

وأفاد الاستبعاد هنا نفي دخولهم الجنة على التأبيد؛ لأنّ جسم الجمل أعظم الأجسام وثقب الإبرة أضيق المنافذ؛ فكان ولوج الجمل في تلك الثقبة الضيقة محالا؛ فكان هذا نفي مغيـًا بمستحيل، وثبت في العقول أن دخولهم الجنة مستبعداً منه قطعـًا[٤].

المطلب الثالث: تحقق الاستبعاد بطريق الاستفهام.

الاستفهام: أحد أنواع الإنشاء الطلبي (استفعال)، فهو طلب الفهم، أو: طلب حصول صورة الشيء في الذهن، وقد يخرج عن ذلك لتقرير

---

(١) لبيان هذه الأقسام. ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، (ص: ٥٤٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (١٢/ ٤٢٧). وينظر: تفسير الألوسي، (١/ ٥٠٥). والتحرير والتنوير، (٨/ ١٢٧).

(٣) تفسير أبي السعود، (٣/ ٢٢٧).

(٤) ينظر: تفسير الرازي، (١٤/ ٢٤٠). وينظر: البحر المحيط في التفسير، (٥/ ٥١).

أو غيره، وألفاظه الموضوعة له: (الهمزة)، و(هل)، و(ما)، و(مَن)، و(أيّ)، و(كم)، و(كيف)، و(أين)، و(أنّى)، و(متى)، و(أيّان). والاستفهام قد يكون لطلب التصور فقط، وقد يكون لطلب التصديق فقط، وقد يكون لطلب أيهما كان[1].

ثم إن هذه الألفاظ كثيرًا ما تستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام وبمعونة قرائن الأحوال؛ فأسلوب الاستفهام يخرج عن معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية لأغراضٍ بلاغية، منها: الاستخفاف، والتحقير، والاستبطاء، والإنكار، والتهديد، والتعجب، والتوبيخ، والوعيد، والتقرير، والتهكم، والتهويل، والاستبعاد. والاستفهام مُستعمل في الاستبعاد على أنّه مجاز مرسل علاقته المسببية أو اللزومية، كما أنّه يُعدّ مِن مستتبعات التركيب. والفرق بين الاستبعاد وبين الاستبطاء: أن متعلق الاستبعاد غير متوقع، والاستبطاء متعلقه متوقع غير أنه بطيء[2].

---

(1) ينظر: مفتاح العلوم، للسكاكي، (ص: ٣٠٨). وينظر: عروس الأفراح، (١/ ٤٢٣). المراد بالصورة: المعلوم وقيل العلم. والتصديق: إدراك مطابقة النسبة الكلامية للواقع أو عدم مطابقتها له. والتصور: إدراك الموضوع أو المحمول أو النسبة المجردة أو اثنين من هذه الثلاثة أو الثلاثة. والفرق بين الاستفهام عن التصديق والاستفهام عن التصور هو: أنّ الأول حقه أن يؤتي بعده بأم المنقطعة دون المتصلة والثاني بالعكس. والأول يكون عن نسبة تردد الذهن بين ثبوتها وانتفائها والثاني يكون عند التردد في تعيين أحد الشيئين. ينظر: الإيضاح، للقزويني، (٣/ ٥٥).

(2) ينظر: مفتاح العلوم، للسكاكي، (ص: ٣٠٨). وينظر: الإيضاح، للقزويني، (٣/ ٥٥). وينظر: عروس الأفراح، (١/ ٤٢٣).

وقد يُفهم الاستبعاد من الاستفهام، ويتحقق ذلك مِن مدلول أداة من أدواته، ولا يُحمل الاستفهام هنا على حقيقة الاستفهام، فاللفظ لفظ الاستفهام غير أنّ المعنى فيه على الاستبعاد. وسوف نعرض لذلك فيما يلي بعون الله ﷻ:

أولاً: الاستبعاد باستعمال همزة الاستفهام.

وهو كثيرٌ في كتاب الله ﷻ، وأكثر ما جاء في القرآن من استبعادٍ بطريق الاستفهام جاء باستعمال الهمزة، ومن ذلك استبعاد الكافرين دعوتهم إلى التوحيد، حين قصّ القرآن الكريم قولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥]، أي: أجعل محمدٌ ﷺ المعبودات كلها واحداً، يسمع دعاءنا جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد عبدَه منّا[1]. فاستبعدوا أن يعبدوا إلهًا واحدًا بعد ما كانوا يعبدون آلهة، وأن يُبطل النبيّ ﷺ آلهتهم ويثبت الإلهية لواحد وهو الله ﷻ.

ثانياً: الاستبعاد باستعمال: (مَن) الاستفهامية.

ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠]، فهو استبعادٌ لأن يكون أحدٌ يرغب عن ملة أبينا إبراهيم عليه السلام الواضحة الغرّاء[2]، وأفاد الاستبعاد هنا أنّه لا يزهد عاقل في دين إبراهيم عليه السلام؛ لأنّه لا يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح.

ثالثاً: الاستبعاد باستعمال: (كيف).

من ذلك قول الله ﷻ: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران:٨٦]، فالآية الكريمة استبعادٌ لأن يهديهم الله ﷻ؛ لأنّ الحائد عن الحق بعد ما وضح له، المنغمس في الضلال، البعيد عن الرشاد؛ لا يستحقّ الهداية؛ لأنّه أتى بما ينافيها

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، (٢١/ ١٤٩).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري، (١/ ١٨٩). وينظر: تفسير أبي السعود، (١/ ١٦٢).

بعد التباسه بها ووضوحها؛ لذلك استبعد النّظم الجليل حصولها لهم مع شدة الجرائم[1].

رابعاً: الاستبعاد باستعمال: (أيّان).

من ذلك سؤال ابن آدم السائر في معصية الله قُدُما: متى يوم القيامة؟ استعجالاً لها، كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [القيامة:٦]، والمعنى: يَسأَل الإنسان سؤال استبعادٍ للبعث: متى وقوع السّاعة؟ على جهة الاستبعاد[2].

خامساً: الاستبعاد باستعمال: (أيّ).

(أيّ) اسم استفهام يطلب تحديد شيء من جملة أشياء، وقد حمل معنى الاستبعاد في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر:٨١]، والمعنى: أنّ الله ﷻ أراهم آيات وحدانيته وألوهيته، وأراهم آيات نعمه وإحسانه إليهم؛ ولوضوح هذه الآيات وكثرته خاطبهم على طريقة الاستبعاد؛ فقال: فأي آيات الله ﷻ التي أراكم تنكروا صحتها أو أنها ليست من الله ﷻ؛ لأنّها منَ الظهورِ بحيثُ لا يكادُ يجترئُ على إنكارِها واستبعاد أنّها من عند الله ﷻ من له عقلٌ[3].فأفاد الاستبعاد أنّ جميع الآيات صالح للدلالة على وحدانية الله ﷻ وقدرته، وأنهم لا عذر لهم في عدم الاستفادة من إحدى الآيات.

---

(1) ينظر: تفسير البيضاوي، (٢/ ٢٦). وينظر: البحر المحيط، لأبي حيان، (٣/ ٢٥١).

(2) ينظر: لطائف الإشارات، للقشيري، (٣/ ٦٥٥). وينظر: تفسير ابن جزي، (٢/ ٤٣٣).

(3) ينظر: تفسير أبي السعود، (٧/ ٢٨٦). وينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤/ ٢١٨) وينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، (١/ ١٤٦).

سادساً: الاستبعاد باستعمال: (أنّى).

استعمل النّظم الجليل (أنّى) في الدّلالة على معنى الاستبعاد، ومن ذلك ما حكاه على لسان الذي مرّ على قرية خالية من مظاهر الحياة فاستبعد طريق بعث سكّانها بعد موتهم؛ فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة:٢٥٩]، والظاهر أنّه لم يكن سؤال جحد، ولا قضية جهل، ولا دلالة شك في القدرة، ولكنه كان سؤال استبعادٍ من حيث العادة، بدليل قوله بعد ما تبيّنت له الكيفية، وعاين إحياء الموتى؛ فازداد بذلك بصيرة: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٥٩][1].

وقد استظهر الرازي(ت:٦٠٦هـ) أنّ ذلك الاستبعاد ما كان بسبب الشك في قدرة اللهﷻ على ذلك، بل كان بسبب أن ذلك لا يقع ولا يحصل في مطرد العادات؛ لأنّ قوله: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة:٢٥٩]، كلام من يستبعد من اللهﷻ الإحياء بعد الإماتة؛ وذلك كفر[2].

سابعاً: الاستبعاد باستعمال: (مَا) الاستفهامية.

مِن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة:٨٤]، فهذه الآية استبعادٌ؛ لانتفاء الإيمان بالله وبكتابه وبرسولهﷺ، مع قيام موجبه وهو: عرفان

---

(1) ينظر: معاني القرآن، للزجاج (١/ ٣٤٢). وينظر: التفسير البسيط، للواحدي، (٤/ ٣٨٣).

(2) ينظر: تفسير الرازي، (٧/ ٢٦). وينظر: حاشية الطيبي على الكشاف، (٣/ ٥٠٦). ورجّح الزمخشري أنّ المارّ كان كافراً؛ فقال: «والمارّ كان كافراً بالبعث، وهو الظاهر؛ لانتظامه مع نمرود في سلك، ولكلمة الاستبعاد التي هي: أنى يحيى». تفسير الزمخشري، (١/ ٣٠٦). وتعقّبه ابن المنيّر في حاشيته بما يوهن قوله. ينظر: حاشية ابن المنيّر على تفسير الكشّاف، (١/ ٣٠٦).

الحق والطمع في إنعام الله ﷻ عليهم بصحبة أمّة محمدٍ ﷺ والدخول في مداخلهم[1].

وعبّروا بالاستفهام هنا الدّال على الاستبعاد تحقيقاً لإيمانهم وتقريراً له باستبعاد سبب انتفائه ونفيه بالكلية[2].

ثامناً: الاستبعاد باستعمال: (مَتى).

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس:٤٨]، فهو كلامٌ فيه استبعادٌ لقيام السّاعة على سبيل الاستخفاف بأمرها والإنكار لوقوعها، أو استعجالٌ لما وُعدوا مِن العذاب استبعاداً له[3]. وقد أشار الاستبعاد هنا إلى تماديهم في الطغيان والجحود؛ لأنّه لمّا أجاب الرسول ﷺ بما أجاب ما زادوا على التكذيب والاستبعاد سوى التهكم والإنكار؛ فقالوا: ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ [يونس:٥٣][4].

المطلب الرابع: تحقق الاستبعاد باسم الفعل: (هيهات).

ومن طرق الاستبعاد استعمال: (هيهات) وَهِي مَوْضُوعَة لاستبعاد الشَّيْء واليأس مِنْهُ؛ فدخولها يُفيد استبعاد الأمر وإنكاره، وقد ثبت أن هيهات اسم سمي به الفعل وهو بعد في الخبر لا في الأمر، وتفسير: (هيهات): (بَعُدَ)، وليس له اشتقاق؛ لأنه بمنزلة الأصوات، وفيه زيادة معنى ليس في (بَعُدَ)، وهي أنّ المتكلم بهيهات يخبر عن اعتقاده استبعاد ذلك الشيء الذي يخبر عن بُعْدِه، وكأنه بمنزلة أن تقول: (بعد جدًّا وما أبعده)، لا على أن يعلم المخاطب مكان ذلك الشيء في البعد

---

(1) ينظر: تفسير الزمخشري، (١/ ٦٧٠). وينظر: البحر المحيط، لأبي حيان، (٤/ ٣٤٧)

(2) ينظر: تفسير أبي السعود، (٣/ ٧٢).

(3) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٣٥٠). وينظر: تفسير ابن جزي، (١/ ٣٥٨).

(4) ينظر: حاشية الطيبي على الكشاف، (٧/ ٥٠٥).

فحسب، كما لو قال: بعد زيد، يفهم من هذا أنه يخبر عن مكانه في البعد. ففي هيهات زيادة معنى على بعد وإن كنا نفسره ببعد[١].

وقد وردت في آية واحدة في كتاب الله ﷻ حكاية لقول الكافرين المنكرين للبعث حين قالوا: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝٣٥ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون:٣٦]، أي: بعيدًا بعيدًا، بمعنى أنّه: أمرٌ مستبعدٌ غاية البُعد بحيث أنّه لا يكون[٢].

المطلب الخامس: تحقق الاستبعاد بقراءة من القراءات المتواترة.

يُمكننا أن نعدّ تغاير القراءات المتواترة طريقًا من طُرق أسلوب الاستبعاد؛ لأنّ معنى الاستبعاد قد يتحقّق أحيانًا بقراءة متواترة دون

---

(١) ينظر: التفسير البسيط، للواحدي، (١٥/ ٥٧٣). وينظر: الكليات، للكفوي، (ص: ٩٥٩). اختلف القرّاء العشرة في: (هيهات هيهات)؛ فقرأ: «أبو جعفر» بكسر التاء منهما، وقرأ باقي القرّاء العشرة بفتحها فيهما. ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (٢/ ٣٢٨). قيل: هما لغتان: كسر التاء: لغة «تميم، وأسد»، وفتح التاء: لغة «أهل الحجاز». ينظر: شرح طيبة النشر، للنويري، (٢/ ٤٦٨). وقيل: لأنّها أشبهت الحروف مثل (صه) وغيرها؛ بنيت على الفتح، على أنه واحد، وهو اسم سمي به الفعل في الخبر، وهو اسم: «بَعُدَ»، كما أن «شتان» اسم «افترق» و «أُفّ» اسم «أتضجر». وقراءة الكسر على أنّها: جمع «هيهات» وأصله «هيْهيات»، إلا أنه حذف الألف، لأنها في آخر اسم غير متمكن، كما حذفت ياء (الذي) في التثنية إذا قلت: (اللذان). ومن فتح وقف بالهاء؛ لأنها مفرد، ومن كسر كتبها بالتاء؛ لأنها جماعة، والكسرة في الجماعة بمنزلة الفتحة في الواحد؛ فمعناهما واحد وهو: البُعْد البُعْد. ينظر: الكتاب، لسيبويه، (٣/ ٢٩١). وينظر: المحتسب، لابن جنّي، (٢/ ٩١).

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي، (٧/ ٤٦٧).

أخرى[1]، وقد يؤثّر تنوع القراءات المتواترة على معنى الاستبعاد في الآية الكريمة[2].

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات:١٦:١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة:٤٨]؛ فقد تنوعت القراءات المتواترة في قوله تعالى:﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ في الموضعين، فقرأ: «الأصبهاني، وقالون، وابن عامر، وأبو جعفر»: ﴿أَوَ﴾ بإسكان الواو في الموضعين، وقرأ باقي القراء العشرة:﴿أَوَ﴾ بفتح الواو[3].

قال ابن عطية(ت:٥٤٢هـ): «وقرأ بعض القراء: «أوْ» بسكون الواو، ومعنى الآية: استبعاد أن يبعثوا هم وآباؤهم على حدٍ واحدٍ من الاستبعاد، وقرأ الجمهور: «أوَ» بتحريك الواو، على أنّها واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام، ومعناها: شدة الاستبعاد في الآباء، كأنهم استبعدوا أن يبعثوا، ثم أتوا بذكر من البعث فيهم أبعد»[4].

---

(1) كتنوع القراءات المتواترة بين الخبر والاستفهام في لفظ: (إذا)، فالاستفهام يُفيد معنى الاستبعاد، والخبر لا يُفيد معنى الاستبعاد. ينظر: الدر المصون، للسمين، (٧/ ٦١٨).

(2) يمكن أن يُقال: إنّ بين القرآن الكريم والقراءات المتواترة عموماً وخصوصاً وجهيّاً؛ فلِمَ جعلتها طريقاً من طُرق الاستبعاد؟ والجواب: إنّ ذلك من باب ذكر الخاص بعد العامّ تأكيداً على أثر القراءات المتواترة في أسلوب الاستبعاد. وهو تقسيم علميّ يثري أهداف هذا البحث، والأمر في ذلك يسير. والله ﷻ أعلم.

(3) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (٢/ ٣٥٧).

(4) تفسير ابن عطية، (٥/ ٢٤٦).

والمعنى: أنّ الهمزة هنا مؤكدة للاستبعاد؛ لأنّها في النية مقدمة داخلة على الجملة في الحقيقة، وقوله: (شدّة الاستبعاد)، أي: أتى بالهمزة لزيادة الاستبعاد؛ لأنّ إعادة من مات قبلهم أبعد في عقولهم القاصرة؛ فعلى قراءة السكون لا احتمال للوجه الثاني[1].

(1) ينظر: تفسير البيضاوي، (٥/ ٧). وينظر: حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي، (٧/ ٢٦٤).

المبحث الثاني
مواضع الاستبعاد في القرآن الكريم وأسراره الدِّلالية:

تنوعت الموضوعات التي ورد فيها أسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم، فتارة يستعمل النّظم الجليل هذا الأسلوب ليستبعد صفة خُلقية مذمومة ما كان لأصحابها أن يتخلّقوا بها، أو يستبعد اعتقادات منحرفة في حقّ الله ﷻ أو شريعته أو رُسله عليهم السلام، أو يُصوّر استبعاد الكافرين لحقيقة من حقائق يوم القيامة، كالبعث والحساب وغير ذلك.

وسوف نتناول في هذا المبحث -بمشيئة الله ﷻ- أبرز الموضوعات القرآنية التي ورد فيها أسلوب الاستبعاد، كما فطن لها المفسرون، من خلال المطالب التالية[1].

المطلب الأوّل: استبعاد أفعال وصفات وقعت من كفّار بني إسرائيل:

أوّلاً: استبعاد اتخاذهم العجل إلهاً ومعبوداً:

جاء نبيّ الله موسى عليه السلام بني إسرائيل بالمعجزات الدالة على صدقه وصحة نبوته، وواعده ربّه ﷻ أربعين ليلة؛ فما كان من بني إسرائيل بعد أن فارقهم موسى عليه السلام متوجهاً إلى الموعد إلّا أن اتخذوا العجل إلهاً

---

(1) سأجمع النظير مع النّظير، مكتفياً بالآيات التي صرّح فيها العلماء بأنّها جاءت على طريقة الاستبعاد، مع الإشارة في الهامش إلى الآيات وثيقة الصلة بالموضوع المذكور، وسأضرب صفحاً عن الآيات التي سبق دراستها في المبحث الأوّل؛ خشية الحشو والإطالة، والتزاماً بطبيعة الكتابة في مثل هذه الأبحاث، وقد رتّبت هذه المطالب حسب ورود أوّل موضعٍ لها في القرآن الكريم. كلّ ذلك ما لم تقتضي طبيعة البحث خلاف ذلك. وأسأل الله ﷻ أن يُقيض لهذا الموضوع من يتناول كلّ آية من آياته في دراسة وافية بحسب السياق الذي وردت فيه؛ لنيل درجة التخصص (الماجستير) أو العالمية (الدكتوراه).

ومعبوداً لهم.

فاستبعد الله ﷻ ذلك الفعل القبيح منهم مع تتابع نعمه وآلائه عليهم؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٩٢]، أي: أبعد مواعدة نبيّكم عليه السلام بحضرة السبعين، وبيان درجته وفضيلتكم عندي، وبعد كلّ هذه النِّعم والمعجزات الواضحات، التي توجب الإيمان بالله جل جلاله وحده؛ تأتون عقيب ذلك بأقبح أنواع الجهل والكفر. وهذا هو محلّ الاستبعاد، فهو كمن يقول: (إنني أحسنت إليك وفعلت كذا وكذا، ثم إنك تقصدني بالسوء والإيذاء)؛ فأشار الاستبعاد إلى نهايةِ قُبحِ ما صنعوا[1].

ثانياً: استبعاد صفة صلابة قلوبهم ويبسها:

أرسل الله ﷻ لبني إسرائيل آياتٍ بيّنات توجب لِين قلوبهم للحقّ، ومن تلك الآيات معاينتهم إحياء الموتى وما كان مِن أمر القتيل، وكان من شأن هذه الآيات أن يخضعوا للحق ويذعنوا له، إلّا أنّ قلوبهم صلبت وغلظت كالحجارة أو أشدّ منها قسوة وغلظة.

فاستبعد الله ﷻ منهم هذه الصفة فقال جل جلاله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:٧٤]؛ فالآية الكريمة استبعادٌ لقسوة قلوبهم وغلظتها من بعد ما ذَكر الله عز وجل لهم من الآيات التي تُوجب لين القلوب ورقتها[2]؛ فدلّ الاستبعاد هنا على أنّ قلوبهم بعيدة كلّ البُعد عن الاعتبار، وأنّها بلغت مبلغاً من الصلابة بحيث لا تؤثر فيها

([1]) ينظر: تفسير الرازي، (٣/ ٥١١). وينظر: تفسير أبي السعود، (١/ ١٠١)، (١/ ١٣١)

([2]) ينظر: تفسير الزمخشري، (١/ ١٥٥). وينظر: تفسير النسفي، (١/ ١٠١).

المواعظ، وأنّها يبست عن: ماء خشية الله ﷻ، وماء شفقة الخلق[1].

ثالثاً: استبعاد إيمانهم مع ما هم عليه من التحريف والتبديل والعناد:

أيأس الله ﷻ رسوله ﷺ والمؤمنين من إيمان اليهود لهم؛ لأنّهم ما آمنوا لموسى عليه السلام بل حرّفوا ما جاء به وبدّلوه، وأخبرهم ﷻ بأنّ إيمانهم مُستبعدٌ فقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥]، فالآية الكريمة قطع لرجاء الرسول ﷺ والمؤمنين في أن يؤمن لهم يهود بني إسرائيل؛ لأنّ هذا الإيمان مُستبعدٌ منهم مع ما هم عليه من التحريف والتبديل والعناد، فالهمزة للاستفهام، والمراد به: الاستبعاد والتقرير، أي: استبعاد إيمان اليهود، وتقرير الرسول ﷺ والمؤمنين على أمرٍ فيه بُعد؛ لأنّه قد سلفت لأسلاف هؤلاء اليهود أعمال سوء،

---

(1) ينظر: تفسير السمرقندي، (١/ ٦٥). وقد نازع أبو حيان الزمخشري في هذا الموضع، ورفض أن يكون العطف بـ(ثمّ) يقتضي الاستبعاد، وذهب إلى أنّ هذا الاستبعاد لا يستفاد من العطف بـ(ثم)، وإنما يستفاد من مجيء هذه الجمل ووقوعها بعد ما تقدم مما لا يقتضي وقوعها، ولأن صدور هذا الخارق العظيم الخارج عن مقدار البشر، فيه من الاعتبار والعظات ما يقتضي لين القلوب والإنابة إلى الله، إلّا أنّهم صدر منهم غير ذلك من غلظ القلوب وعدم انتفاعها، والتعنت والتكذيب. ينظر: البحر المحيط، (١/ ٤٢٢). والحقّ أنّ (ثم) موضوعة للتراخي في الزمان، وهي هنا مجازٌ للاستبعاد، فـ: (ثمّ) لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها، أي أنّها للترتيب الرتبي؛ لأن قسوة قلوبهم لم تتجدد بعد زمان، يعني: يبعد من العاقل ارتكاب هذا المحذور بعد حصول ما ينافيه، ويقلعه من الآيات البينات المذكورة فيما سبق. ينظر: تفسير البيضاوي، (١/ ٨٨). وينظر: حاشية الطيبي على الكشاف، (٢/ ٥٤١).

وهؤلاء على ذلك السَّنَن[١].

و(الهمزةُ): لإنكار الواقِع واستبعادِه، كما في قولنا: (أتضرب أباك)؟، فهذا القول لإنكار الواقع واستبعاده وليس لإنكار الوقوعِ؛ لذلك يكون الجواب عنه: (أأضرِب أبي)؟ استبعاداً لذلك[٢].

وقد ذكروا في سبب الاستبعاد وجوهـًا: أحدها: أنهم ما آمنوا بموسى عليه السلام، مع ظهور المعجزات المتوالية على يده. الثاني: أنّ مَن علم منهم الحق لم يعترف بذلك، بل غيَّره وبدّله. الثالث: أنّهم كأسلافهم يسمعون كلام الله عز وجل ويعلمون أنه حقٌ ثم يعاندونه[٣].

رابعا: استبعاد ما هم عليه من صفة نكثهم العهد ونقضهم الميثاق:

أخذ الله جل جلاله ميثاق يهود بني إسرائيل على الوفاء له سبحانه وتعالى، بأن لا يعبدوا غيره، وأن يحسنوا إلى الوالدَين، ويصلوا الأرحام، ويؤدّوا حقوق الأيتام والمساكين، ويأمروا النّاس بما أمرهم الله عز وجل به، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا زكاة أموالهم.

وكان موجب هذا الميثاق والعهد الوفاء به؛ لأنّه مع الله جل جلاله، إلّا أنّ أكثرهم خالفوا أمره ونكثوا عهده ونقضوا ميثاقه؛ فاستبعد الله عز وجل هذه الصفة منهم؛ فقال:﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة:٨٣]، فالآية الكريمة استبعادٌ للإعراض عن طاعة الله عز وجل ونقض العهد معه.

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية، (١/ ١٦٧). وينظر: تفسير الرازي، (٣/ ٥٦١).

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود، (١/ ١١٦). وينظر: تفسير الألوسي، (١/ ٢٩٨).

(٣) ينظر: تفسير الرازي، (٣/ ٥٦٠). قال في البحر: (واستبعد إيمانهم؛ لأنهم كفروا بموسى عليه السلام، مع ما شاهدوا من الخوارق على يديه، ولأنهم ما اعترفوا بالحق، مع علمهم، ولأنهم لا يصلحون للنظر والاستدلال). البحر المحيط، لأبي حيان، (١/ ٤٣٨).

وهو استبعادٌ لفعل أسلافهم ولفعل معاصري رسول الله ﷺ من اليهود، وأسند إليهم تولي أسلافهم؛ لأنّهم كلهم بتلك السبيل، بمعنى: أعرضتم بعد ظهور المعجزات كإعراض أسلافكم، على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب؛ فحصل به التأنيب والتوبيخ[1].

خامساً: استبعاد صفة القتل والإجلاء والعدوان منهم:

من المواثيق التي أخذها الله ﷻ على بني إسرائيل ألّا يقتل بعضهم بعضاً، وألّا يُخرج بعضهم بعضاً من الدّيار والأوطان؛ فأقرّوا بذلك غير أنّهم لم يعملوا بموجبه؛ فسفكوا الدّماء وخرّبوا الدّيار مِن أهلها.

فاستبعد الله ﷻ منهم القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم؛ فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة:٨٥]. فـ: (ثم) للاستبعاد، أي: استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والإقرار به والشهادة عليه، والمعنى: أيها الحاضرون أنتم بعد أخذ الميثاق عليكم، وإقراركم به، وشهادتكم عليه، هؤلاء الناقضون؛ يقتل بعضكم بعضاً كأسلافكم[2].

سادساً: استبعاد تولّيهم عن الاحتكام إلى كتاب الله ﷻ:

حصّل أحبار اليهود نصيباً وافراً من التوراة ومِن الكتب المنزّلة، وكان من موجبات هذا النّصيب العظيم أن يستجيبوا لرسول الله ﷺ

([1]) ينظر: تفسير الطبري، (٢/ ٢٩٨). وينظر: تفسير ابن عطية، (١/ ١٧٣). ومن نماذج استبعاد توليهم من بعد الآيات العظام قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة:٦٤].

([2]) ينظر: تفسير الزمخشري، (١/ ١٦٠). وينظر: تفسير البيضاوي، (١/ ٩٢). وحاشية الطيبي على الكشاف، (٢/ ٥٦٠).

حين دعاهم إلى الاحتكام إلى هذه الكتب، إلّا أنّهم تولوّا عنه وهم معرضون.

فاستبعد اللهﷻ هذا التولي وذلك الإعراض منهم؛ فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران:٢٣]؛ فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران:٢٣]، استبعادٌ لتوليهم عن دعوة رسول اللهﷺ إلى الاحتكام إلى التوراة، بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب اللهﷻ واجب، وهم قوم عادتهم الإعراض[١].

سابعاً: استبعاد تحكيمهم النبيﷺ وهم لا يؤمنون به وبكتابه:

استبعد اللهﷻ على اليهود الرجوع إلى النبيﷺ ليحكم بينهم مع أنّهم لا يؤمنون به ولا يعترفون بما جاء في كتابه، ومع أن الحُكم منصوص في كتابهم الذي يدّعون الإيمان به، ثمّ إنّهم بعد ذلك كلّه يتركون الحكم به جراءة على اللهﷻ وعصياناً لهﷻ[٢].

قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾[المائدة:٤٣]، فالآية الكريمة استبعادٌ لتحكيمهم النبيﷺ وهم لا يؤمنون به، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التي يزعمون الإيمان بها[٣].

---

(١) ينظر: تفسير الزمخشري، (١/ ٣٤٨). وينظر: تفسير البيضاوي، (٢/ ١٠). الراجح أنّ المقصود بـ:(الكتاب) هنا: التوراةِ؛ لأن مدار التشنيع والتعجيب إنما هو إعراضُهم عن المحاكمة إلى ما دُعوا إليه وهم لم يُدْعَوا إلا إلى التوراة. تفسير أبي السعود، (٢/ ٢٠).

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي، (١/ ٣٩٢).

(٣) ينظر: تفسير ابن جزي، (١/ ٢٣٢). وقريبٌ منه ما ورد في حقّ المنافقين في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ

المطلب الثاني: الاستبعاد الوارد لتنزيه الخالق ﷻ.

استعمل النّظم الجليل أُسلوب الاستبعاد؛ ليبيّن مخالفة الكافرين لفطرتهم في تسويتهم بين الخالق والمخلوق، وفي شكّهم في قدرة الإله الخالق ﷻ، وفي شركهم واستبعادهم أن يختار لنفسه ما يأنفون عنه؛ لذلك فإنّ السطور التالية تبيّن ذلك وتردّ عليهم مزاعمهم.

أولاً: استبعاد تسويتهم بين الله ﷻ وبين أحدٍ.

بيّن الله ﷻ ما يدل على وحدانيته وربوبيته، وأنّه ﷻ لا عديل له ولا شريك؛ ثمّ استبعد أن يجعل الكافرون له ﷻ عديلاً يساوونه به ﷻ؛ فقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، أي: جعلوا كل ما يعبدونه دون الله ﷻ عديلاً لله، وأثبتوا المعادلة بينه وبين الله ﷻ، وليس لله ﷻ عديلٌ، ولا نديدٌ، ولا شريكٌ، ولا ولدٌ، ولا صاحبةٌ.

فمعنى (ثمّ) استبعاد أن يعدلوا به ﷻ بعد وضوح آيات قدرته، أي: استبعاد أن يعدلوا به ﷻ بعد هذا البيان الوارد في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١][1]. وفي هذا الاستبعاد توبيخٌ على سوء فعلهم بعد وضوح الحجج.

ثانياً: استبعاد شكهم في قدرة الله ﷻ:

ذكر الله ﷻ أنّه خلق آدم عليه السلام من طين، ثم خلقنا من آدم، ثم أخذ الأجل والمِيثاق في أجل واحد مسمًّى في هذه الحياة الدنيا؛ ثمّ استبعد على الكافرين شكّهم في قدرة من قَدَر على هذا الخلق؛ فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢]؛ لأنّ موجب الحدث الأوّل الوارد في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام:٢] اليقين في قدرة الله ﷻ وليس الشكّ في قدرته ﷻ.

فمعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢]؛ استبعاد لأن يمتروا

بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧].

([1]) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٤). وينظر: تفسير الرازي، (١٢/ ٤٧٩).

فيه ﷻ بعد ما ثبت أنه ﷻ محييهم ومميتهم وباعثهم[١].

ثالثاً: استبعاد شركهم بالله ﷻ.

لمّا كان نفي الشريك لله ﷻ في الإلهية هو أصل الدعوة الإسلامية؛ لذلك بعد أن قرر رسول الله ﷺ المشركين بأنّ شهادة الله أكبر شهادة وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ [الأنعام:١٩]، استأنف استفهاماً على طريقة الاستبعاد استقصاءً في الإعذار لهم فقال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٩]، تقريرٌ لهم مع إنكارٍ واستبعادٍ لشركهم[٢].

ومن المواضع التي ورد فيها استبعاد شركهم بالله ﷻ قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣١]،أي: أمرتهم بذلك أدلة الشرع والعقل، وقوله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [التوبة:٣١]، تنزيهٌ له ﷻ عن الإشراك به، واستبعادٌ له[٣].

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ [الأنبياء:٢١]، فـ: (أم) هذه هي المنقطعة الكائنة بمعنى: (بل)، و(الهمزة) قد آذنت بالإضراب عما قبلها والاستبعاد لما بعدها، والمعنى: أنّهم بادّعائهم لها الإلهية، يلزمهم أن يدعوا لها الإنشار؛ فإن

---

(١) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٤). ويمكن القول بأنّه استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت أنه خالقهم وخالق أصولهم ومحييهم إلى آجالهم؛ فيكون المستبعد منه هنا هو عموم الامتراء؛ فيدخل معه الشك في البعث وغيره. ينظر: تفسير البيضاوي، (٢/ ١٥٣). والظاهر عموم الامتراء.

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ١١). وينظر: تفسير البيضاوي، (٢/ ١٥٧).

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٢٦٥).

استبعدوا نسبة الإنشار إلى آلهتهم؛ كانت نسبة الإلهية لها أكثر استبعاداً[1]. والله أعلم.

رابعاً: استبعاد أن يكون له ﷻ ولد.

زعم الذين كفروا أنّ لله ﷻ ولدٌ؛ فاحتج ﷻ عليهم في نفي الولد بأنّه هو الذي ابتدع السماوات والأرض فخلقهما ولم يكونا شيئًا قبله، ثمّ أكّد استبعاد الولادة؛ فقال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٗۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام:١٠١]، أي: من أين يكون له وَلَدٌ، والولد لا يكون إلا من صَاحِبَةٌ، ومن أين يكون له ولدٌ وهو خَالق كُل شيء؛ ومحلّ الاستبعاد أنّه من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لأحوال الأجسام في توالدها[2].

خامساً: استبعاد أن يختار ﷻ لنفسه ما يأنفون هم عنه.

ادّعى المشركون أنّ لله ﷻ البنات ولهم البنون؛ فخاطبهم الله ﷻ على طريقة الاستبعاد؛ فقال تعالى: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ﴾ [الصافات:١٥٣]، أي: أأختار لنفسي ما تأنفون أنتم عنه؟ وتنسبون إليه ما تستنكفون أنتم عنه؟ وفي ذلك الاستبعاد تسفيهٌ لقولهم.

فقوله تعالى: ﴿أَصۡطَفَى﴾ [الصافات:١٥٣] بفتح الهمزة[3]: استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد. وهو مناسبٌ للسياق؛ فقد اكتنف هذه الجملة من جانبيها الإنكار والاستبعاد، وذلك قوله: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾

---

(1) ينظر: تفسير الزمخشري، (٣/ ١٠٩). وينظر: تفسير النسفي، (٢/ ٣٩٩).

(2) ينظر: تفسير الطبري، (١١/ ١١). وينظر: معاني القرآن، للزجاج، (٢/ ٢٧٨).

(3) اختلف القرّاء العشرة في: (اصطفى)؛ فقرأ أبو جعفر بوصل الهمزة على لفظ الخبر، فيبتدئ بهمزة مكسورة. واختلف عن ورش، فروى الأصبهاني عنه كذلك، وروى عنه الأزرق بقطع الهمزة على لفظ الاستفهام، وكذلك قرأ باقي القراء العشرة. ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٦٠).

[الصافات:١٥٢]، وقوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات:١٥٤]، فوقع الاستبعاد بين نسيبين. وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم، وإنكار فظيع، واستبعاد لأقاويلهم شديد[1].

المطلب الثالث: استبعاد أفعال وصفات في حقّ المنافقين والكافرين:

أولاً: الردّ على استبعادهم أن يضرب الله ﷻ الأمثال.

استبعد المنافقون والكافرون أن يضرب الله ﷻ مثلاً بالبعوضة، وكذلك أن يضرب مثلاً بذكر خزنة جهنم تسعة عشر؛ فقالوا على سبيل الاستبعاد: أيّ شيءٍ أراد الله بهذا المثل؟ وقد ذكر البيان القرآني استبعادهم في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [البقرة:٢٦]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [المدثر:٣١]، وهو استرذالٌ واستحقارٌ منهم؛ فردّ الله ﷻ استبعادهم ضرب الله ﷻ الأمثال؛ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦]، أي: ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل؟ بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك[2]. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [المدثر:٣١]، أي: ما ذكرنا قلة عددهم وهم تسعة عشر إلَّا بلية لهم؛ ليَسْتَيقِن أهل الكتاب بما عرفوا، ويَزدادَ المؤمنون تصديقًا وعلمًا، ولا يشك أهل الكتاب والمؤمنون، وليعلموا أنه حق وعدتهم كذلك؛ فردّ بذلك على ما

---

(1) ينظر: لطائف الإشارات، للقشيري (٣/ ٢٦٨). وينظر: تفسير الزمخشري، (٤/ ٦٤).

(2) ينظر: الهداية، لمكي، (١/ ٢٠١). وينظر: تفسير البيضاوي، (١/ ٦٣)، (٥/ ٢٦٢).

استبعدوا أن يكون مِن عند الله ﷻ[1].

ثانياً: استبعاد الشرك منهم بعد استعانتهم بالله ﷻ عند نزول الكرب.

إذا نزل الكرب بالمشركين وهم في البرّ والبحر؛ استعانوا بالله ﷻ؛ فإذا استجاب الله ﷻ لهم ونجّاهم من الخوف والهلاك، وفرّج عنهم عظيم كربهم، عدلوا بالله ﷻ وسوّوا بينه وبين أصنامهم؛ فاستبعد الله ﷻ هذا الشرك منهم؛ فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٤]، بمعنى أنّه ﷻ وحده الذي يدفع عنهم ما هم فيه، ثمّ هم يشركون به؛ مشيراً بذلك إلى استبعاد نقضهم بأداة التراخي؛ ليدلّ على أنّهم ما كان لهم أن يُقدموا على هذا الفعل المُستبعد[2].

ثالثاً: استبعادهم اختصاص الله ﷻ وحده بالعبادة.

ومن جملة الأفعال التي استبعدها الكافرون في كلّ زمانٍ: اختصاص ربِّ العزة ﷻ وحده بالعبادة، وترك دين الآباء؛ ومن ذلك قولهم: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، فأنكروا بذلك واستبعدوا اختصاص الله ﷻ وحده بالعبادة، والاستبعاد هنا مستفاد من الاستفهام وسوق الكلام، وكذلك لأنّهم بنوا الأمر على محال في ظنّهم وهو وترك دين الآباء[3]. وقد أشار

([1]) ينظر: تفسير ابن جزي، (٢/ ٤٢٩). وينظر: البحر المحيط، لأبي حيان، (١٠/ ٣٣٤).

([2]) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي، (٧/ ١٤٣).

([3]) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ١١٧). وينظر: تفسير البيضاوي، (٣/ ١٩). وينظر: حاشية الطيبي على الكشاف، (٦/ ٤٣٩). وينظر: حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي، (٤/ ١٨١). ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٧٨]، قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ

أسلوب الاستبعاد هنا إلى حبّهم الشديد لما نشأوا عليه، وإلفهم لدين آبائهم.

رابعاً: استبعاد أن يثبت للمشركين عهدٌ.

استبعد البيان القرآنيّ أن يكون للمشركين عهدٌ عند الله ﷻ وعند رسوله ﷺ؛ وأمر المؤمنين بألّا يطمعوا في ذلك إلّا في الذين عاهدوهم منهم ولم يظهر منهم نكثٌ؛ قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ [التوبة:٧]، فكيف هنا في معنى الاستنكار والاستبعاد، لأن يكون للمشركين عهد عند رسول الله ﷺ.

ثمّ أكّد الله ﷻ هذا الاستبعاد؛ فقال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨]، فـ: (كيف) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد، والمعنى: كيف يكون لهم عهدٌ وحالهم أنهم إن: ﴿يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة:٨]، ثمّ قرر استبعاد الثبات منهم على العهد؛ فقال: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨][1].

والسر في تكرار: (كيف) أنه لما ذكره ﷻ أولاً لاستبعاد ثبات عهدهم عند الله ﷻ ولم يذكر إذ ذاك سبب البُعد للغاية باستثناء الباقين على العهد وطال الكلام؛ أعيدت: (كيف) تأكيداً للاستبعاد، وتطرية للذكر، وليأخذ بعض الكلام بحجزة بعض[2].

أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء:٥٥]، قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف:٢٢].

(١) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٢٤٩).

(٢) ينظر: حاشية ابن المنيّر على تفسير الزمخشري، (٢/ ٢٤٩).

خامساً: استبعاد إيمان الكافرين بعد أن أُلزموا الحجة ببعثه الرسل عليهم السلام.

أهلك الله ﷻ القرون التي سبقت أمّة محمدٍ ﷺ لمّا تفشّى بينهم الظلم، وبالغوا في تكذيب رسلهم حتى علم الله ﷻ أنّ الإيمان مُستبعدٌ منهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ﴾ [يونس:١٣]، أي: وما كانوا يؤمنون حقاً، وهذا تأكيدٌ لنفي إيمانهم، وأنّ الإيمان مستبعد منهم[1].

وقد أشار أسلوب الاستبعاد هنا إلى أنّ الله ﷻ علم منهم أنّهم يُصرون على كفرهم أبداً، وأنّه لا فائدة مرجوة لهم في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثه الرسل عليهم السلام.

سادساً: استبعاد زعمهم أنّ النبي ﷺ اختلق هذا القرآن.

زعم الكافرون والمنافقون أنّ النبيّ ﷺ اختلق هذا القرآن؛ فردّ الله ﷻ عليهم بما يُقبّح صنيعهم ويُظهر جهلهم؛ فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [يونس:٣٨]، [هود:١٣]، [هود:٣٥]، [السجدة:٣]، [الأحقاف:٨]، والمعنى: بل أيقولون اختلقه، على أن الهمزة إنكار لقولهم واستبعاد لزعمهم، فأفاد الاستبعاد هنا أنّ النبيّ ﷺ صادقٌ في دعواه النبوّة وصادقٌ في أنّ هذا القرآن من عند الله ﷻ؛ لأنّ الافتراء منه ﷺ أمرٌ مستبعدٌ في غاية البُعد[2].

وطريق الاستبعاد هنا هو: الهمزة؛ لأنّ (أمْ) منقطعة، والهمزة للاستبعاد، والمعنى: إنه بعيدٌ أن يقولوا: إنّه مختلق، وهم عاجزون عن

---

(1) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٣٣٣). وينظر: البحر المحيط، لأبي حيان، (٦/ ٢٢).

(2) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٣٤٧). وينظر: تفسير البيضاوي، (٥/ ٨١).

الإتيان بمثله[١].

سابعاً: استبعاد طمع الكافر وحرصه على الزيادة في الدنيا أو الآخرة.

تحدّث الله ﷻ عن أحد الكافرين المعاندين، وعدّد نعمه ﷻ عليه، والتي منها أنّه ﷻ خلقه وحيداً، لا مال له، ولا ولد، ثمّ خوّله ﷻ مالاً لا ينقطع، ووهبه أبناء حضوراً، لا يغيبون، يستأنس بالنظر إليهم، ويستعين بهم، ويستنصر إذا احتاج إلى ذلك؛ فنال بذلك كلّه مناه، ووصل إلى ما ترغب إليه النفوس من كثرة الأموال والأولاد، وزاده الله ﷻ فبسط له في الدنيا بسطا ومكّن له تمكيناً.

فقابل هذا الكافر النّعمة بجحود خالقه ﷻ وتكذيب رسوله ﷺ، وهو يطمع في زيادة النعمة؛ فاستبعد الله ﷻ هذا الفعل منه؛ فقال: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ [المدثر:١٥]، فالآية استبعادٌ لطمعه وحرصه على الزيادة[٢]، ووقع هذا الاستبعاد على طمعه وحرصه على الزيادة في الدنيا، كما وقع على طمعه أن يبسط الله ﷻ عليه نعيم الآخرة كما بسط عليه نعيم الدنيا؛ لذلك جاء الجواب: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر:١٦]، يعنى: أنه لا مزيد على ما أوتى سعة وكثرة في الدنيا، ولن يجد في الآخرة إلا العذاب المقيم.

ثامناً: استبعاد تذكّر الكافرين واتعاظهم عند حلول العذاب بهم.

أكّد النّظم الجليل أنّه لا ينتفع بالذّكرى إلّا مَن يخْشى الله ﷻ وسوء العاقبة، فينظر ويفكر حتى يقوده النظر إلى اتباع الحق، وأنّ الكافرين لا تنفعهم الذّكرى عند نزول العذاب؛ لأنّهم غير خاشين ولا ناظرين، ولأن الله ﷻ أبعد عنهم الاتعاظ والتذكير بعد توليهم عن محمد ﷺ وتكذيبهم إياه؛ لذلك استبعد البيان القرآني هذا التّذكّر من الكافرين؛ فقال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان:١٣]، أي: من أيّ

---

(١) ينظر: حاشية الطيبي على الكشاف، (٧/ ٤٨٨).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري، (٤/ ٦٤٨). وينظر: تفسير البيضاوي، (٥/ ٢٦٠).

وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم، وقد تولوا عن رسولناﷺ، وعن الآيات التي تتلى عليهم؟

فالآية الكريمة إخبارٌ عن حال الكافرين، واستبعادٌ لتذكير الكفار مع تكذيبهم للنبيﷺ، وتسجيلٌ عليهم بأنّهم لن تنفعهم التوبة والعظة والتذكرة[1].

المطلب الرابع: استبعادٌ من حيث العادة التي أجراها الله ﷻ:

وقع هذا الاستبعاد من نبيّ الله زكريا عليه السلام، ومن السيدة مريم عليها السلام، ومن نبيّ الله إبراهيم عليه السلام وزوجه؛ لذلك تأوّل العلماء هذا النّوع من الاستبعاد؛ فقالوا: إنّه استبعادٌ من حيث العادة التي أجراها الله ﷻ. أو أنّ الاستفهام صورته صورة تعجب واستبعاد؛ ولكن الاستبعاد ليس بالنسبة إلى المتكلم بل بالنسبة إلى غيره من المبطلين؛ ليزيل استبعادهم ويردعهم عنه[2].

وهذا ما خرّج به الزمخشري(ت:٥٣٨هـ) استبعاد نبيّ الله زكريا عليه السلام أن يرزقه الله ﷻ ولداً؛ فقال: «فإن قلت: لم طلب أولاً وهو وامرأته على صفة العتيّ والعقر، فلمّا أُسعف بطلبته استبعدوا واستعجب؟ قلت: ليُجاب بما أُجيب به؛ فيزداد المؤمنون إيقاناً ويرتدع المبطلون، وإلا فمُعتقد زكريا عليه السلام أولاً وآخراً كان على منهاج واحد: في أنّ الله ﷻ غنيٌ عن الأسباب»[3].

أولاً: استبعاد الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدّنيا.

كفّل الله ﷻ زكريا عليه السلام بالسيدة مريم عليها السلام، فكان لا يدخل عليها غيره، ولا يقوم بكفايتها سواه، وكان كلّما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً؛ فاستبعد نبيّ الله زكريا عليه السلام ذلك؛ فقال: ﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ

---

(1) ينظر: تفسير ابن جزي، (٢/ ٢٦٧).

(2) ينظر: حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي، (٦/ ١٤٥).

(3) تفسير الزمخشري، (٣/ ٦).

لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران:٣٧]، وهو استفهام على سبيل الاستبعاد، ووجه استبعاده لذلك الرزق: أنّه لا يدخل عليها أحدٌ من البشر سواه؛ فمَن الذي جاءها به؟ أو كما قيل: إنه قال ذلك؛ لمّا رأى من الفاكهة والطعام في غير حينه غير متغير، أو أنّه رزقٌ لا يُشبه أرزاق الدنيا[1].

فلمّا وقع في قلبه ذلك الاستبعاد؛ قالت السيدة مريم -عليها السلام- له: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾

ثانياً: استبعاد حصول الولد مع كبر السن.

بشّر الله ﷻ نبيّه زكريا عليه السلام بغلام؛ فاستبعد زكريا عليه السلام ذلك واستفهم عن كيفية وجهه وسببه؛ فقال: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ [آل عمران:٤٠]، [مريم:٨]، ثمّ بيّن وجه هذا الاستبعاد؛ فقال: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران:٤٠]، ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم:٨]، أي: إنّني لا أنكر ذلك أو أنّه لا يكون؛ لأنّي أعلم بقدرة الله ﷻ، غير أنّني أستبعده من حيث العادة، فكيف يكون ذلك وقد أدركتني السنّ العالية فصرت كالعود القاحل، وامرأتي كانت على صفة العقر حين أنا شاب وكهل، فما رزقت الولد؛ لاختلال أحد السببين، أفحين اختل السببان جميعا أرزقه؟ فأجابه الله ﷻ: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٤٠]، أي: إنّ الله ﷻ غنيٌ عن الأسباب؛ فلا تستبعد[2].

ثالثاً: استبعاد الولادة من غير زوج.

قالت الملائكة للسيدة مريم عليها السلام: إنّ الله يبشرك بكلمة منه؛ فاستبعدت ذلك من حيث العادة؛ فقالت: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران:٤٧]، أي: من أيِّ وجه يكون لي ولد؟ أمِن

---

(1) ينظر: تفسير الطبري، (٦/ ٣٥٧).

(2) ينظر: تفسير الزمخشري، (١/ ٣٦٠). وينظر: تفسير الرازي، (٢١/ ٥٠٩). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر:٥٤].

قبل زوج أتزوجه، أمْ تبتدئ فيَّ خلقه من غير أن يمسَّني بشر؟ فقال الله ﷻ لها: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٤٧] يعني: هكذا يخلق الله ﷻ منك ولدًا لك من غير أن يمسَّك بشر؛ فإنه يخلق ما يشاء ويصنعُ ما يريد، والله ﷻ قادر على ما تستبعدين[1]. وهذا أدخل في بيان عظمة معجزة خلق نبيّ الله عيسى عليه السلام من غير أب، فهو أمرٌ تستبعده العقول.

رابعاً: استبعاد الولادة مع العجز والعقم.

كانت السيدة سارة زوجة نبيّ الله إبراهيم عليه السلام في زاوية البيت تنظر إلى الملائكة؛ فلما بُشِّرت بأنها تلد إسحاق؛ استبعدت ما قيل لها، إذ كانت قد بلغت السنّ التي لا يلد من كان قد بلغها من الرجال والنساء؛ فقالت: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾ [هود:٧٢].

وهو استبعاد من حيث العادة التي أجراها الله ﷻ، وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها فقالُوا: ﴿أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [هود:٧٣]؛ لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات، فكان عليها ألّا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة، وإلى ذلك أشارت الملائكة بقولهم: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [هود:٧٣][2].

المطلب الخامس: استبعاد أفعال وصفات في حقّ المؤمنين:

أولاً: استبعاد حسبانهم أن يُدخلهم الله ﷻ الجنّة من غير اختبار.

أخبر الله ﷻ أتباعَ رَسوله ﷺ، أنه ممتحنهم بشدائد من الأمور،

---

(1) ينظر: تفسير البيضاوي، (٢/ ١٧). ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ [مريم:٢٠].

(2) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٤١١). ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ﴾ [الذاريات:٢٩].

وأنّه ﷻ لن يدخلهم الجنّة إلّا إذا أصابهم مثل ما أصاب مَن قبلهم مِن أتباع الأنبياء والرسل الكرام من الشدائد والمحن والاختبار والفاقة والخوف؛ حتى يستبطئ القوم نصر الله ﷻ إياهم، فيقولون: متى الله ناصرنا؟ ونصر الله ﷻ قريبٌ منهم.

وقد ورد ذلك في كلام الله ﷻ على طريقة الاستبعاد؛ فقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٢١٤]؛ فـ: (أَمْ) منقطعة، أي: تُفسّر بمعنى: (بل) و (الهمزة)، ومعنى (الهمزة) فيها: للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده[1].

وأفاد أسلوب الاستبعاد هنا تشجيع النبي ﷺ والمؤمنين على الثبات والصبر حتى ينصرهم الله ﷻ.

ثانياً: ردّ استبعادهم الهزيمة من قومٍ كافرين.

حين أصاب المؤمنين القتل والجرح يوم أحد، وقَتل المشركون منهم يومئذ سبعين نفراً، استبعد المؤمنون أن يقع بهم مثل ذلك؛ فقالوا: ﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ [آل عمران:١٦٥]، أيّ: مِن أين أصابنا هذا؟ استبعاداً له؛ لأنّهم مسلمون وعدوّهم أهل كفرٍ وشركٍ، ولأنّ فيهم نبي الله ﷺ يأتيه الوحي من السماء.

فردّ الله ﷻ عليهم استبعادهم؛ فقال: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران:١٦٥]؛ تنبيهاً على أنّ أمور الدنيا لا تبقى على نهجٍ واحدٍ، وأنّ المؤمنين قد هزموهم مرتين؛ فأي استبعاد في أن يهزم

---

(1) ينظر: تفسير الزمخشري، (١/ ٢٥٦). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢]، وقريبٌ منه قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٦]؛ لأنّه في استبعاد الحسبان. والله أعلم.

المشركون المؤمنين مرة واحدة[1].

كما أنّ هذا الذي تستبعدونه إنّما أصابكم ﴿مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥] أي: بسببكم؛ لاختياركم الخروج من المدينة، أو لتخليتكم المركز[2].

ثالثاً: استبعاد أن ينصرهم الله ﷻ إذا مالوا إلى الظالمين.

نهى الله ﷻ عن الميل إلى الظّالمين، والنهي متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم، ومجالستهم، وزيارتهم، ومداهنتهم، والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيّي بزيهم، ومدّ العين إلى زهرتهم، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم[3].

وأخبر ﷻ أن ذلك الميل يُوجب العذاب، وأنّ مَن يفعل ذلك لا ينصره الله ﷻ بل يخلِّيه من نُصرته ويسلّط عليه عدوّه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود:١١٣]، و(ثمّ) هنا للتراخي الرتبي، وهي تفيد الاستبعاد، أي: لاستبعاد نصره ﷻ إيّاهم وقد أوعدهم بالعذاب عليه وأوجبه لهم، ومعنى الاستبعاد هنا: أنّه لما بيّن ﷻ أنّه معذبهم، وأنّ غيره لا يقدر على نصرهم؛ أنتج ذلك أنهم لا ينصرون أصلاً[4].

قال الزمخشري(ت:٥٣٨هـ): «فإن قلت: فما معنى ثمّ؟ قلت: معناها الاستبعاد؛ لأنّ النصرة من الله ﷻ مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له»[5]. والمعنى: ولا تركنوا إلى الذين ظلموا؛

---

(1) ينظر: تفسير الرازي، (٩/ ٤٢٠).

(2) ينظر: تفسير الزمخشري، (١/ ٤٣٧).

(3) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٤٣٣).

(4) ينظر: تفسير البيضاوي، (٣/ ١٥١). وينظر: تفسير ابن جزي، (١/ ٣٧٩).

(5) تفسير الزمخشري، (٢/ ٤٣٤). اعترض عليه: بأنّ أثر الحرف إنما هو في مدخوله،

لأنكم إن ركنتم إلى الظلمة يعذبكم الله ﷻ بالنار، والحال أن لا ناصر سواه ليخلصكم منها، وهو لا ينصركم؛ لأنه وجب في حكمته تعذيبكم، فإذن لا تنصرون البتة؛ لذلك عبّر النّظم الجليل بـ: (ثمّ) دون: (الفاء)[1].

المطلب السادس: استبعاد الكافرين لأمرٍ من الأمور الغيبية:

من طُرق صدّ المشركين دعوة النبيّ محمدٍ ﷺ، استبعادهم البعث وقيام الساعة وإنجاز ما وُعدوا به من العذاب، واستبعادهم أن يختار الله ﷻ من بينهم بشراً مثلهم يُرسله إليهم. وقد سجّل القرآن الكريم عليهم هذه الحجج الباطلة، كما يتجلّى لنا في هذا المطلب بمشيئة الله ﷻ.

أوّلاً: استبعادهم ما وُعدوا به من العذاب وقيام السّاعة.

استعجل الكافرون إنجاز الوعد الذي كان ينذرهم منه رسول الله ﷺ، وكان استعجالهم لما وُعدوا استبعاداً له، فاستعجلوا العذاب

ومدخول (ثمّ) عدم النصرة، وليس بمستبعد وإنّما المستبعد نصرة الله ﷻ لهم؛ فالظاهر أنها للتراخي في الرتبة؛ لأنّ عدم نصرة الله ﷻ أشدّ وأفظع من عدم نصرة غيره. وأُجيب عنه: بأنّه لا يبعد أن يقال فيه مضاف مقدر، والمعنى: لاستبعاد ترك نصره ﷻ إياهم مع الإيعاد بالعذاب، والإيجاب، وظاهرٌ أنّ للحرف مدخلاً في بُعد ترك النصر عما قبله ولا يخفى بُعده، وتكلفه؛ فالظاهر ما قيل: إن (ثم) كما تكون لاستبعاد ما دخلت عليه تكون لاستبعاد ما تضمنه؛ فاندفع ما قيل عليه: إنّ الداخل على النتائج هي الفاء السببية لا الاستبعادية. والفرق بين الوجهين: أنّ المنفيّ على الوجه الأوّل نصرة الله ﷻ لهم، وعلى هذا مطلق النصرة. ينظر: حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي، (٥/ ١٤٤).

([1]) ينظر: حاشية الطيبي على الكشاف، (٨/ ٢٢١). وينظر: تفسير أبي السعود، (٤/ ٢٤٥).

الذي حذّرهم النبيّ ﷺ مِن أن ينزل بهم في الدّنيا: فقالوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس:٤٨]، [الأنبياء:٣٨]، [النمل:٧١]، واستعجلوا ما وُعدوا به من قيام السّاعة استبعاداً لها؛ فقالوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سبأ:٢٩]، واستعجلوا وعيد الله ﷻ، والبعثَ بعد الممات، إنكاراً للوعد بقيام الساعة؛ فقالوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يس:٤٨]، واستبعدوا ما وعدهم به ﷺ من الحشر إلى الله ﷻ؛ فقالوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الملك:٢٥]، أي: متى ما تعدنا به مِن ذلك كلّه إن كنتم صادقين في وعدكم إيانا ما تعدوننا[1].

والاستعجال في هذه الآيات مقصودٌ به الاستبعاد والاستهزاء دون ظاهره؛ لأنهم ما أرادوا بالسؤال إلا استبعاداً للموعود منه ﷻ، وأنه افتراء؛ فطلبوا منه ﷺ تعيين وقته تهكماً وسخرية. وهو مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾ [المعارج:٦]، أي: يستبعدون العذاب الواقع أو يوم القيامة على جهة الإحالة؛ لأنّ المراد بالبعيد: البعيد من الإمكان[2].

ثانياً: استبعادهم للبعث بعد الموت.

تعددت الآيات القرآنية التي تحدّثت عن استبعاد أهل الكفر للبعث بعد الممات، ومن جملة استبعادهم للبعث قولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ﴾ [الرعد:٥]، أي: أئذا كنا تراباً وبَلِينا فعُدِمنا؛ أئنا لمجدَّدٌ إنشاؤنا وإعادتنا خلقًا جديدًا كما كنا قبل وفاتنا! فأشار أسلوب الاستبعاد إلى تكذيبهم بقدرة الله ﷻ، وجحودهم للثواب والعقاب والبعث بعد

---

(1) ينظر: تفسير الطبري، (١٨/ ٤٤٤)، (١٩/ ٤٩١)، (٢٠/ ٤٠٦)، (٢٠/ ٥٢٧)، (٢٣/ ٥١٧).

(2) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٣٥٠)، وينظر: تفسير البيضاوي، (٣/ ١١٥). وينظر: حاشية الطيبي على الكشاف، (٧/ ٥٠٥). وينظر: حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي، (٥/ ٣٥).

الممات[١].

وتعددت الآيات القرآنية[٢] التي أكدت أنّهم يستبعدون أن يجدد الله ﷻ خلقهم، ويردّه إلى حال الحياة، ويستبعدون خروجهم أحياء حين يتمكن فيهم الموت والهلاك، ويستبعدون أن تبعث الأجساد والرمم من القبور[٣].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية، (٤/ ٢٦٨).

(٢) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾ [الإسراء:٤٩]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا﴾ [الإسراء:٩٨]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [المؤمنون:٨٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ﴾ [النمل:٦٧]، وقوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [الصافات:١٦]، وقوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات:٥٣]، وقوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ [ق:٣]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [الواقعة:٤٧]، وقوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ﴾ [النازعات:١١].

(٣) ينظر: تفسير الماتريدي، (٨/ ٤٢٨). وينظر: لطائف الإشارات، للقشيري، (٣/ ٤٧). وينظر: تفسير الزمخشري، (٤/ ٣٨٠). وينظر: تفسير الرازي، (٢٨/ ١٢٤). وينظر: تفسير القرطبي، (١٧/ ٢١٤). وينظر: تفسير النسفي، (٣/ ٣٦١)، (٣/ ٥٩٦). وينظر: تفسير ابن جزي، (١/ ٣٥٨)، (١/ ٤٥٥)، (٢/ ١٤٢)، (٢/ ١٦٢). وينظر: البحر المحيط، لأبي حيان، (٩/ ٥٢٩). وينظر: تفسير أبي السعود، (١/

ثالثاً: استبعادهم بعثة البشر.

استبعد أهل الكفر اختصاص مَن شاركهم في البشرية بالنبوة؛ فقالوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم:١٠]، فقولهم هذا فيه استبعادٌ لأنّ يبعث الله ﷻ إليهم بشراً مثلهم، والمعنى: ما أنتم أيها الرسل إلا بشرٌ مثلنا في الصورة، ولستم ملائكة؛ فلا فضل بيننا وبينكم، ولا فضل لكم علينا، فلم تخصون بالنبوّة دوننا[1].

وقد ردّ الرسل الكرام عليهم ذلك الاستبعاد؛ فأقروا ببشريتهم إلّا أنّ الله ﷻ منّ عليهم واصطفاهم لحمل رسالته إليهم.

وقريبٌ من ذلك استبعادهم أن يكون الرسول ﷺ قد اختصه الله ﷻ بالذّكر من بينهم، وذلك في قولهم: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص:٨]، فقد كان من عادة المشركين استبعاد تخصيص واحد من بينهم بإنزال الذكر عليه؛ لأنّه من جنسهم أو من أبناء جلدتهم؛ فاستبعدوا أن يفضل عليهم مثلهم[2].

وهم يستبعدون بعثة البشر، وينكرون ذلك على النبيّ ﷺ، وقد سجّل القرآن الكريم عليهم ذلك، واستبعد منهم ذلك الإنكار؛ فقال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل:٨٣]، فالمعنى: يعرفون النّعم التي عددناها ويعترفون بها أنها من الله، ومن جملة هذه النّعم نبوّة محمد ﷺ، كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عناداً، وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم، وجِيْءَ بـ: «ثُمَّ» هنا؛

---

٢٥٣). وينظر: تفسير الألوسي، (٢/ ٢٢).

(1) ينظر: تفسير ابن عطية، (٣/ ٣٢٨). وينظر: تفسير ابن جزي، (١/ ٤٠٩). ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن:٦].

(2) ينظر: تفسير الرازي، (٢٥/ ٢١٦). وينظر: تفسير البيضاوي، (٥/ ١٣٩).

للدلالةِ على أنَّ إنكارَهم أمرٌ مستبعدٌ بعد حصولِ المعرفة؛ لأنَّ مَنْ عَرَفَ النعمة حَقُّه أن يَعْتَرِفَ لا أَنْ يُنْكِرَ[1].

رابعاً: استبعاد النجاة من النار يوم القيامة.

من الأمور الغيبية التي ظنّها المجرمون أنّهم ناجون يوم القيامة من العذاب، وأنّهم سيفدون أنفسهم من عذاب الله ﷻ ذلك اليوم؛ فردّ الله ﷻ عليهم ذلك الوهم؛ فقال: ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج:١٤]، فـ: (ثمّ) هنا لاستبعاد الإنجاء من العذاب يوم القيامة: ببنيه، وزوجته، وأخيه، وعشيرته، وبمن في الأرض جميعاً من الخلق[2].

وقريب من ذلك خطاب الله ﷻ لنبيّه ﷺ بقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:١٩]، والمعنى: أأنت مالك أمرهم، استبعادٌ أن يملك النبيّ ﷺ أن ينجّيهم من نار يوم القيامة متى حقّ عليهم العذاب، فالهمزة أفادت معنى: الإنكار والاستبعاد[3].

المطلب السابع: استبعاد نشأ عن استكبار وغمط للحق:

أولاً: استبعاد بني إسرائيل أن يكون المُلك في غيرهم.

ذكر البيان القرآني أن كفار بني إسرائيل مِن بعد نبيّ الله موسى عليه السلام قهروا مؤمنيهم فقتلوهم وسبوهم وأخرجوهم من ديارهم وأبنائهم، فمضوا زمانًا ليس لهم ملِك يقاتل عدوهم؛ فسألوا نبيّهم في ذلك الزمان أن يجعل لهم ملِكًا؛ فقال نبيهم لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ

---

(١) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ٦٢٦). وينظر: تفسير البيضاوي، (٣/ ٢٣٦). وينظر: الدر المصون، للسمين، (٧/ ٢٧٧).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري، (٤/ ٦١٠). وينظر: تفسير الرازي، (٣٠/ ٦٤٢).

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري، (٤/ ١٢١). وينظر: البحر المحيط، لأبي حيان، (٩/ ١٩٣).

طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة:٢٤٧]؛ فتعجبوا من ذلك فأنكره بعضهم واستبعده بعضهم الآخر؛ فقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٢٤٧]، ثمّ عللوا وجه استبعادهم؛ فقالوا: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ [البقرة:٢٤٧][1].

وقولهم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٢٤٧]،معناه: كيف ومِن أين؟ وهو إنكارٌ لتملكه عليهم واستبعادٌ له[2].

وسبب هذا الاستبعاد:

(أ) أنّ النبوّة كانت مخصوصةً بسبطٍ معينٍ من أسباط بني إسرائيل، وهو سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام، ومنه موسى وهارون، وسبط المملكة، سبط يهوذا، ومنه داود وسليمان عليهما السلام، وأن طالوت ما كان من أحد هذين السبطين، بل كان من ولد بنيامين؛ فلهذا السبب أنكروا كونه ملكا لهم، وزعموا أنهم أحق بالملك منه[3].

(ب) أنّهم استبعدوا تقديم المفضول على الفاضل، واستحقروا من كان غير موسع عليه؛ فاستبعدوا أن يتملك عليهم من هم أحق بالملك منه، وهو فقير، والمُلك يحتاج إلى أصالة فيه، إذ يكون أعظم في النفوس، وإلى غنى يستعبد به الرجال، ويعينه على مقاصد الملك؛ فظهر من هذا الاستبعاد: أنّهم لم يعتبروا السبب الأقوى، وهو: قضاء الله وقدره، واعتبروا السبب الأضعف، وهو: النسب والغنى[4].

ثانياً: استبعاد فرعون إيمان بني إسرائيل لموسى عليه السلام قبل أن يأذن لهم.

لمّا ألقى نبيّ الله موسى ﷺ عصاه؛ أيقن السحرة أنّها معجزة لا يقدر

---

(1) ينظر: تفسير الطبري، (٥/ ٣٠٦). وينظر: تفسير الماتريدي، (٢/ ٢٢٣).

(2) ينظر: تفسير الزمخشري، (١/ ٢٩٢). وينظر: تفسير النسفي، (١/ ٢٠٤).

(3) ينظر: تفسير الرازي، (٦/ ٥٠٤). وينظر: تفسير أبي السعود، (١/ ٢٤٠).

(4) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيّان، (٢/ ٥٧٤).

على فعلها بشرٌ؛ فأمنوا بالله ﷻ وبما جاء به موسى عليه السلام؛ فوبخّهم فرعون وقرّعهم على إيمانهم استكباراً منه وغمطاً للحق؛ فقال مستبعداً: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف:١٢٣]، ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه:٧١]، [الشعراء:٤٩][1].

وقد تنوعت القراءات المتواترة في قوله: ﴿ءَامَنتُم﴾ [الأعراف:١٢٣]، [طه:٧١]، [الشعراء:٤٩]، بين الإخبار والاستفهام[2]؛ فالإخبار من فرعون معناه: فعلتم هذا الفعل الشنيع، توبيخا لهم وتقريعاً. والاستفهام منه معناه: الإنكار والاستبعاد. وقد علّل استبعاده هنا بقوله: ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف:١٢٣]، [طه:٧١]، [الشعراء:٤٩]؛

([1]) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان، (٥/ ١٤٠). وقيل: قراءة الأخبار فيها أيضاً معنى التوبيخ والاستبعاد كما في الاستفهام؛ لأنّ الخبر إذا لم يقصد به فائدته ولا لازمها؛ تولد منه بحسب المقام ما يناسبه، وهنا لما خاطبهم بما فعلوه مخبراً لهم بذلك أفاد التوبيخ والتقريع والاستبعاد، كما يجوز أن يقدَّر في الهمزة بناء على جوازه والاستفهام للإنكار، بمعنى: أنه لا ينبغي ذلك، أي: استبعاد كون ذلك منهم. ينظر: حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي، (٤/ ٢٠٤).

([2]) اختلف القراء في القراءة بالاستفهام والخبر في «ء آمنتم» في «الأعراف، وطه، والشعراء»؛ فقرأ «قنبل» موضع «طه» بوجهين: الأول: بالإخبار. والثاني: بالاستفهام. وقرأ المواضع الثلاثة بالإخبار: «حفص، ورويس، والأصبهاني». وقرأ: «هشام بخلف عنه، وحمزة، والكسائي، وخلف العاشر، وشعبة، وروح» بتحقيق الهمزة الثانية في المواضع الثلاثة. وقرأ باقي القرّاء العشرة بالاستفهام في المواضع الثلاثة وهم: «الأزرق، وقالون، والبزي، وأبو عمرو، وابن ذكوان». ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (١/ ٣٦٨).

فأشار ذلك إلى وهن أمره؛ لأنه إنّما جعل ذنبهم مفارقة الإذن، ولم يجعله نفس الإيمان إلا بشرط[1].

ثالثاً: استبعاد فرعون جواب موسى عليه السلام على سؤاله.

في محاورة فرعون لنبيّ الله موسى عليه السلام، قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣]، أي: ما إلهك هذا؟ إنكاراً لأن يكون للعالمين رب سواه؛ فأجابه موسى عليه السلام فقال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء:٢٤]، عرّفه بأظهر خواصه وآثاره سبحانه وتعالى.

فردّ اللّعين على سبيل الإغراء لمن حوله والاستبعاد لجواب موسى عليه السلام؛ فقال: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:٢٥]، قال فرعونُ هَذَا على استبعاد جَوَاب موسى عليه السلام[2].

ووجه استبعاد اللعين: أنّه وقع عنده أن موسى عليه السلام حاد عن جواب ما سأله؛ لأنه إنما سأله عن ماهية ربّه سبحانه وتعالى؛ فأجابه موسى عليه السلام عن قهره وربوبيته؛ فظنّ فرعون أن موسى عليه السلام حائد عن جواب ما سأله، كأنّه قال لمن حوله مستبعداً: ألا تستمعون إلى ما يقول موسى، إنّي أسأله عن شيء وهو يجيبني عن شيء آخر[3]. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(1) ينظر: تفسير الزمخشري، (٢/ ١٤١). وينظر: تفسير ابن عطية، (٢/ ٤٤٠).

(2) ينظر: تفسير السمعاني، (٤/ ٤٣).

(3) ينظر: تفسير الماتريدي، (٨/ ٥٥).

الخاتمة: (أسأل الله ﷻ حسنها)

الحمد لله في البدء والختام، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على من ختم به الله ﷻ الرسل والرسالات ﷺ.

وبعد...

فيجدر أن نختم القول بالوقوف مع أهم النتائج والتوصيات التي خرج بها هذا البحث:

أما ما توصلَّ إليه البحث من نتائج فمنها:

(١) إنّ أسلوب الاستبعاد أسلوبٌ عربيٌّ أصيل جاء في لغة العرب، واستعمله القرآن الكريم.

(٢) إنّ الإشارات الأولى لأسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم ترجع إلى يحيى بن سلام(ت:٢٠٠هـ).

(٣) أوّل من سمّاه «الاستبعاد» هو الماتريدي(ت:٣٣٣هـ) في تفسيره: «تأويلات أهل السُّنّة».

(٤) تكلم جمع من المفسرين وأشاروا إلى أسلوب الاستبعاد قبل الزمخشري(ت:٥٣٨هـ) إلّا أنّه يُعدُّ أوّل من أكثر من تتبع مواضعه في القرآن الكريم، كما أنّه يُعدُّ أوّل من تكلّم عنه بشيء من التفصيل، وذلك في تفسيره: (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل).

(٥) لأسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم معنيان، وله طُرق معهودة يتحقق بها.

(٦) لا يمكن القول: إنّ الاستبعاد هو عين الإنكار أو التعجّب أو التّهكّم أو التوبيخ، غير أنّنا يمكن أن نقول: إنّ الاستبعاد يُفضي إلى دلالة فرعية أخرى كالإنكار أو التعجب أو التهكم أو التوبيخ أو غير ذلك بحسب دلالة السياق.

(٧) الاستبعاد أعمّ من التراخي الرتبي.

(٨) للقراءات المتواترة أثرٌ في أسلوب الاستبعاد.

(٩) يرِد أسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم؛ لينفّر السامع من صفةٍ أو خُلقٍ مذموم، ما كان لصاحبه أن يتخلّق به. كما يرد ليستبعد على الكافرين مزاعمهم

الباطلة في حقّ الله ﷻ؛ تنزيهاً لله ﷻ عمّا لا يليق بذاته المقدّسة. وقد يرد على لسان الأنبياء والصّالحين على سبيل أنّه استبعادٌ من حيث العادة التي أجراها الله ﷻ، وهو غير الاستبعاد المفضي إلى التكذيب والإنكار.

(١٠) أكثر الكافرون من أسلوب الاستبعاد عند إنكارهم أمراً مِن أمور الغيب أو حقيقة من حقائق الآخرة.

والدراسة تقترح:

إفراد آيات الاستبعاد في القرآن الكريم بدراسة مستقلة؛ بحيث يتناول الباحث فيها كلّ آية من آياته في دراسة وافية بحسب السياق الذي وردت فيه؛ لأنّ مواقعه تختص بفوائد، وهذه الفوائد أو اللطائف مزّيه بلاغية تختلف من سياقٍ إلى سياق بحسب المقام، ولا يمكن أن نضبط فوائده أو نحدد مزاياه إلّا بإدراك كآفة مواضعه في الذّكر الحكيم، مع حسن التأني، وصدق النظر، والوعي بسياق الكلام.

فهرس أهم المراجع:

أولاً: الكتب:

- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧م.

- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة.

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، تحقيق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: مهدي المخزومي- إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

- الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٠٧هـ.

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق:

عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم- الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ

- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

- تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر– بيروت.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن محمد أبو القاسم محب الدين النُّوَيْري، دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: مجدي محمد سرور- سعد باسلوم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م.

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي أبو حامد بهاء الدين السبكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ=٢٠٠٣م.

- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ=٢٠١٣ م.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر– بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر ١٣٩٩ هـ= ١٩٧٩م.

- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق:: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.

- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ثانياً: الأبحاث:

- أثر العلاقات الزمانية بين الأحداث في إظهار دلالة الاستبعاد في القرآن الكريم، أ.م. د. تراث حاكم مالك الزيادي، ومعه: م.م. محمد كريم جبار، (ص:٣٢٣) وما بعدها. بحث منشور بمجلة العميد جامعة القادسية كلية الآداب قسم اللغة العربية، العدد الخامس ربيع الثاني ١٤٣٤هـ/ آذار ٢٠١٣م.

الصفحات من (٣٢٣): (٣٥٩).

- ثمّ العاطفة وإفادتها الاستبعاد في الدّلالة القرآنية، د. حسين خضير عبّاس، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، الناشر: كلية الإمارات للعلوم التربوية، العدد: (٢١)، مارس ٢٠١٨م، الصفحات من: (٢٥): (٣٨).

فهرس الموضوعات:

المقدّمة:..... ٦١١
خطة البحث:..... ٦١٥
التمهيد:..... ٦١٧
أوّلاً: حديث العلماء عن الاستبعاد..... ٦١٧
ثانياً: مفهوم «الاستبعاد»..... ٦٢٠
الاستبعاد في اللغة:..... ٦٢٠
الاستبعاد في الاصطلاح:..... ٦٢٠
ثالثاً: أركان الاستبعاد..... ٦٢٢
الركن الثالث: الدّاعي إلى الاستبعاد (الحدث الأوّل)..... ٦٢٣
رابعاً: الفرق بين الاستبعاد والدِّلالات المجازية التي قد تُصاحبه. ٦٢٤
خامساً: الفرق بين الاستبعاد والتراخي الرتبي..... ٦٢٤
سادساً: الفرق بين الاستبعاد والبُعد..... ٦٢٥
المبحث الأوّل: طُرق أسلوب الاستبعاد في القرآن الكريم: ٦٢٧
المطلب الأوّل: تحقّق الاستبعاد بطريق السياق..... ٦٢٧
المطلب الثاني: تحقق الاستبعاد بحرف من حروف المعاني..... ٦٢٧
أولاً: الاستبعاد باستعمال: (ثمّ) العاطفة..... ٦٢٨
ثانياً: الاستبعاد باستعمال: (ما) النافية..... ٦٣٠
ثالثاً: الاستبعاد باستعمال: (إنْ) الشرطية..... ٦٣١
رابعاً: الاستبعاد باستعمال: (إنْ) النافية..... ٦٣٢
رابعاً: الاستبعاد باستعمال: (حتى) الغائية..... ٦٣٢
المطلب الثالث: تحقق الاستبعاد بطريق الاستفهام..... ٦٣٣
أولاً: الاستبعاد باستعمال همزة الاستفهام..... ٦٣٥
ثانياً: الاستبعاد باستعمال: (مَن) الاستفهامية..... ٦٣٥
ثالثاً: الاستبعاد باستعمال: (كيف)..... ٦٣٥
رابعاً: الاستبعاد باستعمال: (أيّان)..... ٦٣٦

خامساً: الاستبعاد باستعمال: (أيّ)..... ٦٣٦
سادساً: الاستبعاد باستعمال: (أنّى)..... ٦٣٧
سابعاً: الاستبعاد باستعمال: (مَا) الاستفهامية..... ٦٣٧
ثامناً: الاستبعاد باستعمال: (مَتى)..... ٦٣٨
المطلب الرابع: تحقق الاستبعاد باسم الفعل: (هيهات)..... ٦٣٨
المطلب الخامس: تحقق الاستبعاد بقراءة من القراءات المتواترة..... ٦٣٩
المبحث الثاني..... ٦٤٢
مواضع الاستبعاد في القرآن الكريم وأسراره الدِّلالية:..... ٦٤٢
المطلب الأوّل: استبعاد أفعال وصفات وقعت من كفّار بني إسرائيل:. ٦٤٢
أوّلاً: استبعاد اتخاذهم العجل إلهاً ومعبوداً:..... ٦٤٢
ثانياً: استبعاد صفة صلابة قلوبهم ويبسها:..... ٦٤٣
ثالثاً: استبعاد إيمانهم مع ما هم عليه من التحريف والتبديل والعناد: ... ٦٤٤
رابعاً: استبعاد ما هم عليه من صفة نكثهم العهد ونقضهم الميثاق:... ٦٤٥
خامساً: استبعاد صفة القتل والإجلاء والعدوان منهم:..... ٦٤٦
سادساً: استبعاد تولّيهم عن الاحتكام إلى كتاب الله ﷻ:..... ٦٤٦
سابعاً: استبعاد تحكيمهم النبي ﷺ وهم لا يؤمنون به وبكتابه:..... ٦٤٧
المطلب الثاني: الاستبعاد الوارد لتنزيه الخالق ﷻ..... ٦٤٨
أولاً: استبعاد تسويتهم بين الله ﷻ وبين أحدٍ..... ٦٤٨
ثانياً: استبعاد شكهم في قدرة الله ﷻ:..... ٦٤٨
ثالثاً: استبعاد شركهم بالله ﷻ..... ٦٤٩
رابعاً: استبعاد أن يكون له ﷻ ولد..... ٦٥٠
خامساً: استبعاد أن يختار ﷻ لنفسه ما يأنفون هم عنه..... ٦٥٠
المطلب الثالث:استبعاد أفعال وصفات في حقّ المنافقين والكافرين:. ٦٥١
أولاً: الردّ على استبعادهم أن يضرب الله ﷻ الأمثال..... ٦٥١
ثانياً: استبعاد الشرك منهم بعد استعانتهم بالله ﷻ عند نزول الكرب. ٦٥٢
ثالثاً: استبعادهم اختصاص الله ﷻ وحده بالعبادة..... ٦٥٢
رابعاً: استبعاد أن يثبت للمشركين عهدٌ..... ٦٥٣

خامساً: استبعاد إيمان الكافرين بعد أن أُلزموا الحجة ببعثه الرسل عليهم السلام. ٦٥٤
سادساً: استبعاد زعمهم أنّ النبيﷺ اختلق هذا القرآن..... ٦٥٤
سابعاً: استبعاد طمع الكافروحرصه على الزيادة في الدنيا أو الآخرة. . ٦٥٥
ثامناً: استبعاد تذكّر الكافرين واتعاظهم عند حلول العذاب بهم..... ٦٥٥
المطلب الرابع: استبعادٌ من حيث العادة التي أجراها اللهﷻ:..... ٦٥٦
أولاً: استبعاد الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدّنيا..... ٦٥٦
ثانياً: استبعاد حصول الولد مع كبر السن..... ٦٥٧
ثالثاً: استبعاد الولادة من غيرزوج..... ٦٥٧
رابعاً: استبعاد الولادة مع العجزوالعقم..... ٦٥٨
المطلب الخامس: استبعاد أفعال وصفات في حقّ المؤمنين:..... ٦٥٨
أولاً: استبعاد حسبانهم أن يُدخلهم اللهﷻ الجنّة من غيراختبار. ٦٥٨
ثانياً: ردّ استبعادهم الهزيمة من قومٍ كافرين..... ٦٥٩
ثالثاً: استبعاد أن ينصرهم اللهﷻ إذا مالوا إلى الظالمين..... ٦٦٠
المطلب السادس: استبعاد الكافرين لأمرٍ مِن الأمور الغيبية:..... ٦٦١
أوّلاً: استبعادهم ما وُعدوا به من العذاب وقيام السّاعة. ٦٦١
ثانياً: استبعادهم للبعث بعد الموت..... ٦٦٢
ثالثاً: استبعادهم بعثة البشر..... ٦٦٤
رابعاً: استبعاد النجاة من الناريوم القيامة..... ٦٦٥
المطلب السابع: استبعاد نشأ عن استكبارٍوغمطٍ للحق:..... ٦٦٥
أولاً: استبعاد بني إسرائيل أن يكون المُلك في غيرهم..... ٦٦٥
ثانياً: استبعاد فرعون إيمان بني إسرائيل لموسىعليه السلام قبل أن يأذن لهم..... ٦٦٦
ثالثاً: استبعاد فرعون جواب موسىعليه السلام على سؤاله..... ٦٦٨
الخاتمة: (أسأل اللهﷻ حسنها)..... ٦٦٩
فهرس أهم المراجع:..... ٦٧١
أولاً: الكتب:..... ٦٧١
ثانياً: الأبحاث:..... ٦٧٥

فهرس الموضوعات: ٦٧٧